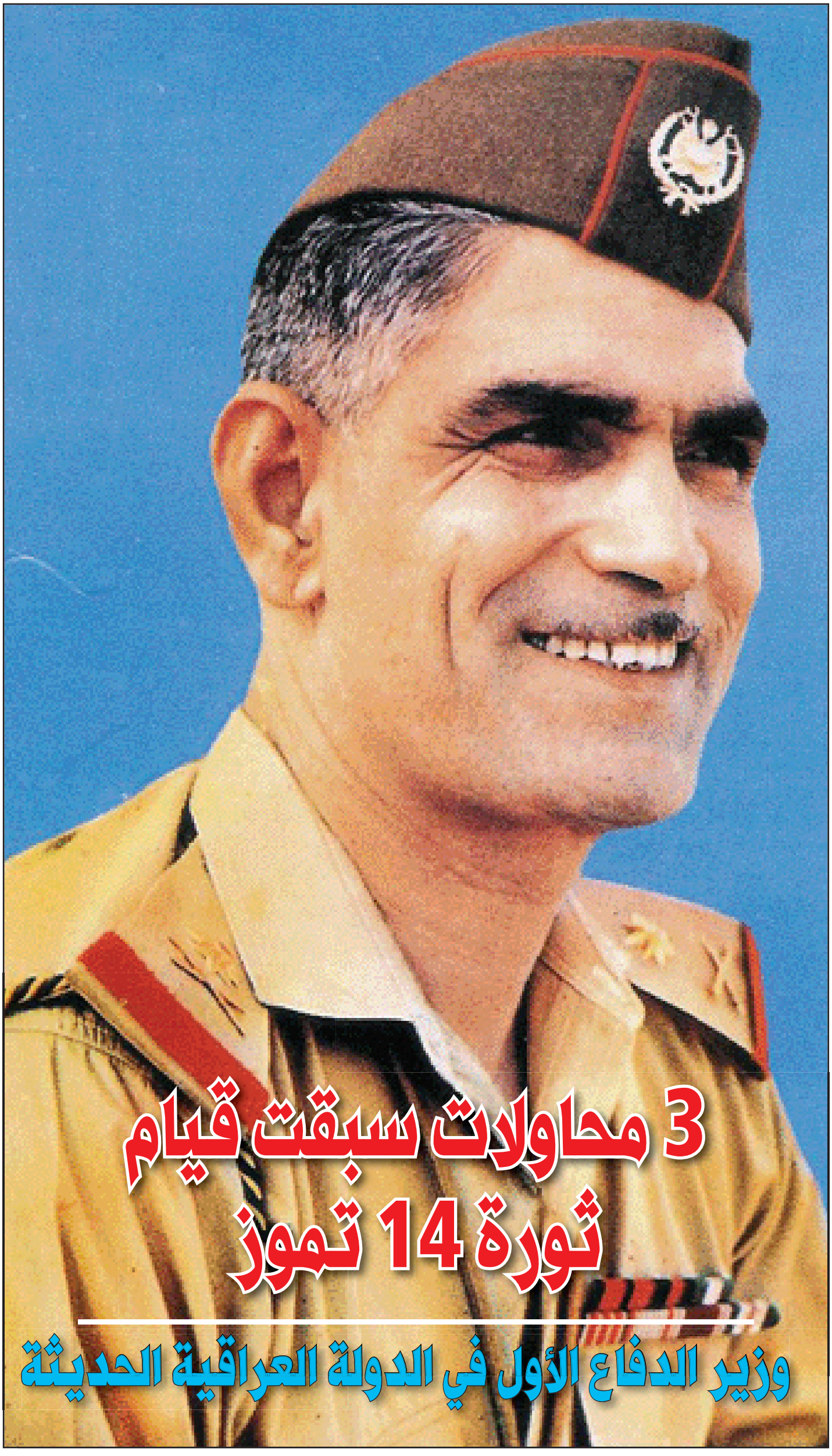

3 محاولات سبقت قيام ثورة 14 تموز

وزير الدفاع الأول في الدولة العراقية الحديثة

ذاكرة العراق

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (1951) السنة الثامنة

الإثنين (1) تشرين الثاني 2010

8

محمد كريم صوت خاص في الاغنية البغدادية

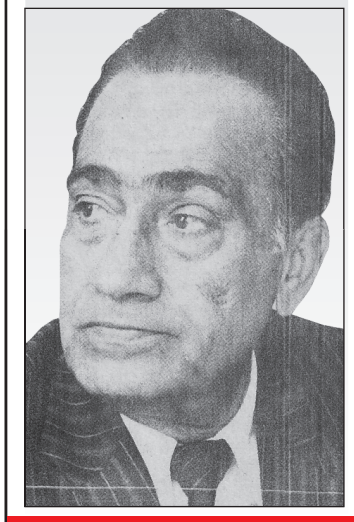

خواطر وأحاديث في التاريخ
لمحات من سيرة جعفر العسكري

وزير الدفاع الاول في الدولة العراقية الحديثة

كنت قبل ايام قلائل اتصفح كتابا ممتعا وجميل الاخراج اصدرته دائرة التوجيه السياسي في وزارة الدفاع في السنة الماضية بمناسبة الذكرى الستين لتأسيس الجيش العراقي فلفتت نظري فيه صورة للفريق جعفر العسكري وزير الدفاع الاول في الدولة العراقية مع نبذة عن سيرته (ص20) ووجدت في ذلك آية من آيات الوفاء العربي، وانموذجا للخلق العسكري النبيل في الاعتراف بفضل الاولين، وتسجيل خدمات المساهمين في بناء جيشنا الذي يعد مفخرة بين الجيوش العربية ودرعا حصينا من دروع الامة، هذا الجيش الذي يقدم اليوم اروع أمثلة البطولة والفداء في معركته التي يخوضها دفاعا عن حقوق بلاده، ضد عدو متخلف حاقد، يحارب الاسلام باسم الاسلام، ولا يميز بين حلال وحرام، ولا يحترم قانونا بين قوانين الارض ولا ناموسا من نواميس السماء.

نجدة فتحي صفوة

ورأيت بهذه المناسبة ان اقدم في هذه الصفحة التاريخية لمحات من سيرة ذلك الرجل لانها سيرة حافلة بالاحداث واحيانا بالمغامرات التي تصلح ان تكون مادة لقصة سينمائية مقيرة وقد انتهت نهاية روائية حزينة.

كان جعفر العسكري شخصية نادرة بين شخصيات العراق التي تسلمت مقاليد المسؤولية في البلاد في بداية تأسيس الدولة العراقية الفتية وكثيرا ما سمعنا من عارفيه عن شخصيته وخفة روحه وظرف دعابته كما سمعنا عن شجاعته ولباقته السياسية، وثقافته العسكرية والقانونية، حتى علمنا اخيرا بمصرعه على يد بعض اعوان بكر صدقي ولم يكن قد عرف عن الرجل انه أساء الى احد في حياته.

ولم يكن لقب العسكري الذي الحق باسم جعفر باشا اشارة الى مسلكه وان كان عسكريا بل نسبة الى قرية عسكر التي تنتسب اليها بأصله، وهي قرية قريبة من مدينة كركوك ويبدو ان الفريق بكر صدقي الذي قاد انقلاب عام ١٩٣٦ كان أصله منها ايضا، فصار يلقب نفسه بالعسكري عملا بالقول المصري المشهور (مافيش حد احسن من حد).

ولد في بغداد سنة ١٨٨٥ وكان والده مختارا لاحدى محلاتها، ودخل المدرسة العسكرية التحضيرية فيها، ثم تخرج من المدرسة الحربية التركية في الاستانة وارسل في بعثة عسكرية للتدريب في المانيا فاقام فيها ثلاث سنوات ثم عاد واشترك في حرب البلقان وجرح فيها ولما أنتهت تلك الحرب وظهرت نوايا الاتحاديين العنصرية انضم الى حزب العهد العربي وكان من انشط العاملين فيه.

ثم نشبت الحرب العالمية الاولى فعين مرافقا للاميرال الالماني فوق سوشن ومنح وسام الصليب الحديدي الالماني وكانت القيادة العثمانية العليا قد وضعت خطة للاستيلاء على مصر بمهاجمتها من الشرق والغرب في وقت واحد فتولى الفريق جمال باشا السفاح قيادة الفيلق الرابع لمهاجمة مصر من الشرق بطريق قناة السويس وعهد الى جعفر باثارة القبائل الطرابلسية في ليبيا للاغارة عليها من الغرب بطريق السلوم.

ولكن كيف يصل جعفر الى ليبيا والبحر المتوسط يزخر ببوارج الحلفاء تقرر ارسال جعفر في غواصة المانية، من الدردنيل الى برقة فذهب اليها ونزل الى البر بعد تبديل زيه واجتمع بالسيد احمد السنوسي واتفق معه على تدابير الحملة ولم يكتف بذلك بل توجه الى مصر متخفيا ودخلها لدراسة الحالة فيها، وعاد بعد ذلك الى تركيا فصدر الامر بتعيينه قائدا عاما في جبهة برقة بعد ترقيته الى رتبة لواء وكان حامل هذه الرتبة في الجيش العثماني يحصل على لقب باشا تلقائيا وسافر جعفر الى بيروت ثم استقل منها سفينة شراعية قاصدا سواحل برقة خلسة عن اساطير الحلفاء وكان ذلك في اوائل سنة ١٩١٥ وقد استغرقت هذه الرحلة المثيرة ثلاثة اسابيع واجهت السفينة خلالها مخاطر عديدة ووصلت الى مقربة من السلوم فاسرع رجالها في تفريغ حمولتها من الاسلحة والذخائر ولكن الحلفاء قبضوا عليها خلال عودتها واسروا نوتيتها بينما كان جعفر ورجاله في ليبيا يعملون على تنظيم القوات النظامية والقبائل الطرابلسية التابعة للسنوسي.

وعلى الرغم من الخطة المتفق عليها بين جعفر وجمال بالهجوم على مصر من الشرق والغرب في آن واحد، فان جمالا لم يتقيد بهذا الاتفاق لاعتقاده بانه يستطيع ان ينال هذا الفخر وحده ولم يشأ ان يشرك غيره فيه، بل أستعجل الهجوم قبل أن يكمل جعفر استعدادته فكانت النتيجة ذلك الفشل الذريع الذي منيت به القوات العثمانية على قناة السويس.

اما جعفر فقد اسرع الى اجتياز الحدود المصرية بالقوات التي تمكن من تجهيزها وواصل حفه في طريق الاسكندرية الى ان وصل مرسى مطروح فسحبت القيادة البريطانية قوات كبيرة من جبهة قناة السويس بعد ان هزمت قوات جمال باشا فيها، وجردتها على جعفر في جبهة مرسى مطروح وهاجمته من البر والبحر واشتبك الجيشان بالسلاح الابيض وجرح جعفر بطعنة سيف ثم أسر وجيء به الى القاهرة واعتقل في قلعتها.

وفكر جعفر في طريقة الهرب من القلعة فعقد عدة بطانيات ببعضها متخذا منها حبلا وتدلى في الليل من أحدى النوافذ ولكنه كان ضخم الجثة فلم تحتمل البطانيات ثقله وانفرط عقد احداها وسقط جعفر على الارض واصيب بكسر في الركبة.

ولم تفارق جعفرا خفة روحه حتى في هذه اللحظة وكانت صلاته بأسرته قد اصبحت ودية فاخذ يلح على دفع قيمة البطانيات الممزقة فأضحكهم واستطاع ان يلطف الجو ويخفف من غضبهم فنقلوه الى المستشفى.

وفي هذه الفترة كانت الثورة العربية التي قامت في الحجاز في بدايتها وكان الضباط العرب يلتحقون بها من كل حدب وصوب، فقرر جعفر الانضمام اليها فسمح له بالسفر الى مكة بطريق البحر الاحمر فلما وصلها الحق بالجيش العربي الذي كان مرابطا حول المدينة المنورة بقيادة الشريف فيصل وعين فيصل جعفر قائدا عاما لقواته دون استشارة والده الشريف حسين مما اغضبه وجعله يأمر بعزله

ولد في بغداد سنة 1885 وكان والده مختارا لاحدى محلاتها، ودخل المدرسة العسكرية التحضيرية فيها، ثم تخرج من المدرسة الحربية التركية في الاستانة وارسل في بعثة عسكرية للتدريب في المانيا فاقام فيها ثلاث سنوات ثم عاد واشترك في حرب البلقان وجرح فيها ولما انتهت تلك الحرب وظهرت نوايا الاتحاديين العنصرية انضم الى حزب العهد العربي.

فأبرق فيصل الى والده بأن في ذلك اهانة لا يقبلها وانه سيتخلى من مسؤولياته وينفض يده من النهضة اذا اقيل جعفر فاضطر الحسين الى الموافقة ببرقية استرضى بها ولده.

واستولى الجيش الشمالي على العقبة واتخذها قاعدة حربية ثم سار شمالا حتى فتح دمشق وقبل انتهاء تلك الحملة كان الجنرال اللنبي قد منح جعفر باشا وساما في مقر قيادته في بير سالم بفلسطين وسط حلقة من الرجال المنتمين الى الفرقة التي اسرته في مصر، وكان لاختيار هذه الحلقة بمثابة حرس شرف في ذلك الاحتفال وقع جميل في نفس جعفر، ولكنه مع ذلك حافظ على روح الدعابة التي اتصف بها طيلة حياته فأصر على ان يحمل في هذه المناسبة وسام الصليب الحديدي الذي ناله من اعدائهم الالمان وكان له ما أراد.

وبعد احتلال سوريا عين جعفر حاكما لمنطقة عمان ثم حاكما لمنطقة حلب بعد سقوطها ولما قامت الدولة العربية في سوريا وتوج في فيصل ملكا عليها عين جعفر كبيرا لمرافقيه وبقي في هذا المنصب الى أن وقعت معركة ميسلون فترك سوريا مع فيصل الى فلسطين ثم برحها معه قاصدا اوربا.

وفي هذا الوقت كانت الثورة الوطنية في العراق ثورة العشرين التي قامت ضد الحكم البريطاني قد اشتد اوارها حتى حملت الانكليز على تغيير سياستهم في العراق، وتأسيس حكومة وطنية في مظهرها على الاقل فتألفت الحكومة المؤقتة برئاسة السيد عبد الرحمن النقيب وطلب الى جعفر العسكري وكان قد وصل الى بورسعيد في طريقه الى اوربا مع فيصل ان يعود الى العراق للاشتراك في تلك الحكومة وزيرا للدفاع وهكذا اصبح اول وزير للدفاع في دولة العراق الحديثة، وبهذه الصفة كانت المهمة اولى التي القيت على عاتقه انشاء جيش عراقي وطني تمهيدا لتاسيس دولة عربية واحتفظ جعفر بمنصبه هذا في وزارة النقيب الثانية ايضا.

ولما عقد مؤتمر القاهرة المشهور في اذار سنة ١٩٢١ برئاسة المستر تشرشل وزير المستعمرات البريطاني حضره جعفر العسكري مع السير برسي كوكس وفي هذا المؤتمر تقرر تاسيس الدولة العراقية ونصب فيصل الاول ملكا عليها.

وفي سنة ١٩٢٢ عين جعفر باشا اول ممثل للعراق في بريطانيا ولكنه استدعي الى بغداد بعد سنة واحدة وعهد اليه بتاليف الوزارة فبقي في رئاسة الوزارة حتى اب ١٩٢٣ ثم استقال منها فخلفه فيها ياسين الهاشمي وعاد هو الى لندن وزيرا مفوضا للمرة الثانية وعاد الى بغداد مرة اخرى فالف وزارته الثانية وبعدها الى لندن للمرة الثالثة فبقي فيها من سنة ١٩٢٣ الى سنة ١٩٣٤.

وانتمى جعفر خلال اقامته في لندن الى أحدى كليات الحقوق فيها ودرس القانون واكمل دراسته ونال شهادته وكان ذلك بطبيعة الحال بدافع من رغبته في الاستزادة من العلم، ولم تكن له بالشهادة حاجة بعد ان وصل الى اعلى منصب واصبح رئيسا للوزراء مرتين ووزيرا للدفاع خمس مرات.

واستدعي جعفر العسكري الى بغداد وعين وزيرا للدفاع في الوزارة التي الفها ياسين الهاشمي في اذار سنة ١٩٣٥ وكانت هذه المرة الخامسة والاخيرة التي يتولى فيها هذه الوزارة التي احبها وخدمها مدة طويلة.

وفي اواخر سنة ١٩٣٦ فاجأ بكر صدقي وزارة الهاشمي بانقلابه المعروف فقرر جعفر الخروج لمقابلة القطعات الزاحفة

استولى الجيش الشمالي على العقبة واتخذها قاعدة حربية ثم سار شمالا حتى فتح دمشق وقبل انتهاء تلك الحملة كان الجنرال اللنبي قد منح جعفر باشا وساما في مقر قيادته في بير سالم بفلسطين وسط حلقة من الرجال المنتمين الى الفرقة التي اسرته في مصر، وكان لاختيار هذه الحلقة بمثابة حرس شرف في ذلك الاحتفال وقع جميل في نفس جعفر، ولكنه مع ذلك حافظ على روح الدعابة التي اتصف بها طيلة حياته فاصر على ان يحمل في هذه المناسبة وسام الصليب الحديدي الذي ناله من اعدائهم الالمان وكان له ما أراد.

على بغداد وكان واثقا انه سيستطيع بتأثيره الشخصي ان يثنيها عما تعتزمه ويحبط محاولة بكر صدقي معتمدا على ما يكنه الضباط له من محبة واحترام ولكن بكر صدقي كان يعرف ذلك ايضا فلما بلغه خروج جعفر ارسل اليه من يقتله قبل وصوله الى مقر القوات خارج بغداد وهكذا انتهت حياة الرجل بصورة روائية كما بدأت وكما كانت في معظم مراحلها وكان في الحادية والخمسين من عمره. كان جعفر العسكري شخصية ظريفة وسياسيا مرحا وصاحب نكتة وتروى عنه قصص طريفة ومقالب متنوعة وكان بدينا مكتنز الجسم ذكيا كثير القراءة وقد جاء في التقرير السري الذي اعدته السفارة البريطانية عن الشخصيات العراقية لسنة ١٩٣٥ والمحفوظ بدار الوثائق البريطانية في لندن الوصف الاتي: يتكلم العربية والتركية والكردية والارمنية والفارسية والالمانية والفرنسية والانكليزية ضخم الجسم متقلب المزاج بطبيعته نزيه حسن النية ولطيف المعشر وان كان خاملا بدرجة لا يواجه معها الحقيقة حينما تكون مزعجة ميال الى تبني موقف اقل مقاومة وانتظار ما فيه الخير ليست له قدرة على الدسائس ويخدع بسهولة متكلم جيد وتاكتيكي ممتاز ولكنه ليس استراتيجيا شجاع ويقظ في المعارك.

ولا شك ان سيرة جعفر العسكري واعماله يجب ان يحكم عليها بالمقياس الى العهد الذي عاش فيه وعلى ضوء الظروف السياسية المحيطة بالبلاد في ذلك العهد بالاضافة الى علاقته الشخصية بنوري السعيد فقد كان متزوجا من شقيقته كما ان زوجة نوري كانت شقيقة جعفر ومن الوفاء ان يذكر الرجل في ذكرى تأسيس الجيش العراقي.

عن كتاب نظرات في التاريخ
بغداد 1981

من الذاكـرة

عندما زار العلامة توينبي مدينة النجف

مجلداته ضمت 3 ملايين كلمة جسدت قدرات خارقة!

يكتبها: سالم الالوسي

في عام ١٩٤٩ طلبت وزارة المعارف (التربية) اليوم من الاستاذ السيد طه باقر امين المتحف العراقي أن يتولى تعريب موجز كتاب دراسة في التاريخ للمؤرخ البريطاني ذي الشهرة العالمية العلامة (ارنولد توينبي) صاحب المواقف الشريفة المناصرة للقضايا العربية.

فيلسوف عظيم

وكان الكتاب الاصل يتالف من عشرة اجزاء ضخمة اختصرها بجزئين الاستاذ دي. سي سمرفيل وهو غير سمرفيل الذي عمل مستشارا في وزارة المعارف العراقية في الثلاثينات وقد عكف طه باقر على تعريب الجزئين الموجزين لسمرفيل على مدى أربع سنوات معززا الترجمة بالمواشي والتعليقات المفيدة ودفعه للطبع استجابة لطلب وزارة المعارف وفي صيف عام ١٩٥٤ طلب الاستاذ باقر مني معاونته في الاشراف على طبع الكتاب واعداد الفهارس له فاضطلعت بالمهمة وتم الفراغ من طبعه في بداية عام ١٩٥٥ حيث تم طبع الجزء الاول في مطبعة التفيض الاهلية والجزء الثاني في مطبعة المعارف واقولها للحقيقة انني استفدت فائدة عظيمة من خلال مراجعتي تجارب الطبع واعداد الفهارس واعجبت اعجابا كبيرا بالمؤلف العلامة توينبي الذي يعد من اعاظم المؤرخين في العصر الحديث ولم يكن مؤرخا حسب بل فيلسوف عظيم قامت دراساته على أساس الناحيتين المادية والروحية التي تناول فيها بالتحليل الفلسفي العميق والمقارنة الدقيقة الشاملة بدايات الحضارات البشرية الكبرى وتطورها وانهيارها.

قوانين جديدة للحضارات

وقد انفرد العلامة توينبي دون سائر المؤرخين المعاصرين باستنتاج قوانين وقواعد جديدة لمسيرة تلك الحضارات ونموها وانحلالها نذكر منها قانون التحدي والاستجابة في نشوء الحضارات وقانون الاعتزال والظهور في الظاهرة الاجتماعية التي يسميها بالابداع مما يقوم به الافراد المبدعون او الاقليات المبدعة. ودستور الهزيمة ولم الشعث في الحالة التي يطلق عليها اسم ايقاع الانحلال الى غير ذلك من غرائب الاستنباطات وتتجلى قدرته الفذة في استخدام حوادث التاريخ البشري منذ أقدم عهوده وفي مختلف ادواره وموضوعاته باساطيره وادابه واديانه وغير ذلك من المعلومات التاريخية والعلمية والدراسات الفلسفية والمعارف الادبية.

دراسة في التأريخ

وعلى هذا الاساس يعد كتابه دراسة في التاريخ موسوعة عظيمة من انفس ما أنتجه الفكر الغربي المعاصر في فلسفة التاريخ وتاريخ الحضارات.

وليس غريبا أن يحتل هذا الكتاب هذه الاهمية البالغة التي دفعت المسؤولين بوزارة المعارف الى تعريبه ليطلع عليه المؤرخون والمثقفون واهل العلم والمعرفة فقد امضى العلامة توينبي اربعين عاما (١٩٢١-١٩٦١) لانجاز موسوعته الضخمة المؤلفة من عشرة اجزاء وبعد صدورها اضاف اليها جزئين اخرين خصصهما للرد على خصومه ونقاده من المؤرخين والكتاب الغربيين ممن جندتهم الدوائر الصهيونية لنقده والتشهير به والتحلمل عليه بسبب انتقادات توينبي للحضارة الغربية عامة والحركة الصهيونية واليهودية كظاهرة شاذة متحجرة خاصة ولمواقفه النزيهة الجريئة هذه ولتعاطفه مع القضية العربية ومناصرته للقضية الفلسطينية وهي قضية العرب المركزية اقيمت لذكراه مهرجانات وندوات في عدد من الاقطار العربية منها الاحتفال التكريمي ببغداد في خريف عام ١٩٧٧.

3 ملايين كلمة

تتألف المجلدات العشرة من كتابه من ٦٢٩٠ صفحة وعدد الكلمات يقدر بثلاثة ملايين ومئة وخمسين الف كلمة تضاف الى ذلك مجموعة من فهارس الكتاب تشغل ٣٢٢ صفحة واكثر من عشرين الف تعريف.

رب سائل يسأل وماذا عن نشأة هذا المؤرخ المنصف وسيرته نقول ولد العلامة توينبي في عام ١٨٨٩ وتوفي في اواسط السبعينات شغل وظائف عدة ابرزها استاذ التاريخ الدولي بجامعة لندن ورئيس الدراسات في المعهد الملكي الانكليزي للشؤون الدولية وهو مؤسسة غير رسمية اسست عام ١٩٢٠ لتشجيع الدارسات العلمية والقضايا المتصلة بالشؤون الدولية ولشهرته العالمية واهمية دراساته ومؤلفاته كانت الجامعات والمجامع العلمية والمؤسسات التاريحية والمنتديات الثقافية تتسابق في توجيه الدعوات البع لالقاء المحاضرات واجراء المناظرات وقد تسنى له زيارة اغلب لاقطار العربية كان خلالها موضع التقدير والاحترام وكان لايكتم اعجابه بالحضارة العربية الاسلامية وبعدها من الحضارات الاصيلة المؤثرة في الحضارات والمجتمعات البشرية وهو معجب أشد الاعجاب بالمؤرخ العربي ابن خلدون.

عندما زار النجف

هذه معرفتنا الأولى بالمؤرخ العلامة توينبي اما اتصالنا به شخصيا فقد حصل في اواخر شهر آذار مارس منذ عام ١٩٥٧ كنت اتولى خلالها مهمة رئيس هيئة التنقيب الاثاري في الكوفة التي كانت تقوم به دائرة الاثار العامة العراقية في موقع دار الامارة الواقع خلف مسجد الكوفة التاريخي، حينما حضر الى مقر الهيئة الاستاذ مهدي هاشم قائممقام النجف الاشرف وبصحبته الاستاذ نعمان امين رئيس بلدية الكوفة وأخيرا الهيئة بان الدكتور ناجي الاصيل مدير الاثار العام اتصل بالقائممقام هاتفيا واعلمه بان المؤرخ البريطاني ارنولد توينبي سيزور الكوفة والنجف غداً.

ورجانا أن نتهيأ لاستقبال الضيف فتشكلت هيئة استقبال من الاساتذة السادة مهدي هاشم ، الحاج محمد سعيد شمسه رئيس بلدية النجف، نعمان أمين، عادل ناجي الدكتور في ما بعد عضو هيئة التنقيب في الكوفة وكاتب المقال.

وفي الصباح اليوم التالي استقبلنا العلامة توينبي عند جسر الكوفة وكان يرافقه كل من الدكتور عبد الجبار الجلبي العضو الاجرائي في مجلس الاعمار العراقي والاستاذ طه باقر معاون مدير الاثار العام وبعد استراحة قصيرة في مقر هيئة التنقيب قام بزيارة المعالم الاثارية والمشاهد التاريخية في دار الامارة وبيت الامام علي عليه السلام ومرقد ميثم التمار وموقع كري سعدة.

توجهنا بعدها الى النجف الاشرف حيث امضى قرابة ثلاث ساعات زار خلالها المدارس الدينية وعددا من المكتبات واعجب بنفائس المخطوطات فيها، كما التقى عددا من العلماء.

وفي العدد القادم سنتحدث عما دار في هذه الزيارات وماجرى من مناظرات وتعليقات وعن اعجابه بشخصية الامام علي عليه السلام ونظراته الى المعالم والآثار الشاخصة وغير ذلك من المحاورات.

من حصن الأخيضر الى كربلاء

المستشرق الفرنسي
جان فييه

رحلة في البيداء العربية

ترجمة د. اكرم فاضل

الاب جان فييه راهب فرنسي مستشرق يسكن العراق منذ سنة ١٩٣٩ يتقن العربية ويجيدها كأحد ابنائها ويحسن بصورة خاصة اللهجة الموصلية الدارجة حيث يقطن منذ سنوات عديدة كاي موصلي عريق.

له ابحاث عديدة عن اثار بلادنا اغلبها منشور في مجلة سومر وظهرت له كتب عن تاريخ بلادنا أهمها مجلده الضخم الذي يقع في سبعة اجزاء صدرت منها أربعة وهي بعنوان الاديرة المسيحية في منطقة الموصل.

الله معكم..

قال هذا بلهجة غاية في البساطة ولم يطلب هنا ولو مجرد كلمات شكر نظير ما صنعه معنا من جميل.. وقد ساعد أخوة له في الطريق يعانون مشقة والان هناك أخرون يحتاجون الى مساعدته فهو يخف الى معونتهم والمسألة لديه مسألة اعتيادية فحتى نحن الاجانب كنا بمثابة اخوة له في البيداء العربية.

وضعنا خطة رائعة ان نسافر من بغداد في نحو الساعة التاسعة متجهين رأسا الى حصن الاخيضر عبر كربلاء فتناول هناك غداءنا بسرعة ثم نزور بعد الظهيرة كربلاء والنجف والكوفة ومقام حسن قيال في الكفل ومن يدري ماذا بعد؟

كل هذا يحدث بعد الظهيرة، ولكن الانسان يقدر والله يقرر وكان الظهر قد مال نحو العصر حين وصلنا الى الحصن وسط الصحراء.

وما لبثت الغيوم ان تراكمت وبعد فترة من الزمن كانت هناك بروق وما كدنا نصل الى داخل الحصن حتى شرع المطر بالهطول.

ولم يكن لدينا الوقت الكافي لنتأمل في اسرار القلعة نفسها، وفي الجيوش التي تقاتلت حولها عين التمر على بعد بضعة كيلومترات من هناك وكان لابد من مواصلة الرحلة رغم السحب المهددة.

وكسبا للوقت عزمنا على الغداء اثناء التجوال فامامنا طريق يقدر بخمسين كيلومترا للوصول الى كربلاء وانهال علينا المطر وكأنه سيل حين بلغنا جوار قرية شعيب البعيدة فخرج رجل يهرول من مركز الكمارك وتوجه الينا قائلا: لا تبرحوا مكانكم فالطريق مقطوع وقد انهار سد تحت ضغط الفيضان واجتاح الماء المنخفض الذي يخترقه الطريق بأكمله.

ما العمل..؟

كان ابو عادل رئيس عرفاء مركز الكمارك يعرف بالبيداء وسيارتنا لن تستطيع المزيد من التقدم والماء في غاية الارتفاع على الطريق.

وقد سبقتنا سيارة جيب اعلى من سيارتنا وذات محركين اذ انطلقت مشحونة بالعمال فلن نراها بعد الان وستظل تمضي وبعد ذلك هناك لوريات ستفرغ حمولتها من الرمل وستجرب حظها وهناك سيارة لنقل الركاب ستذهب هي ايضا.

وستعود كل هذه السيارات اما نحن فقد انقطعنا من العالم الخارجي والمطر مازال ينهمر.

على بركة الله

كم سنظل منعزلين لن يستصلح الطريق للسير قبل انقضاء بضعة ايام، بل عدة اسابيع فاننا لم نر هذه الكمية من الماء منذ ١٩٣٢ و١٩٦٤ ولا جدوى من الرجوع على النفس باللائمة ونحن نفكر اننا لواقلعنا ساعة قبل رحيلنا لمضينا سالمين القضية هي هذه.. اننا لم نقلع قبل نصف ساعة.

في تلك اللحظة وصل لورد صغير مسلح تابع للكمارك وكان يقوده المفوض عبد الرحمن غليت فليت المطر يكف شيئا ليدلنا هذا الرجل على طريق اخر لعله يكون قابلا للسير فيه اكثر من سواه، ولابد ان هذا الطريق سيكون اطول فهل لدينا الكفاية من البنزين؟

لندع سائق سيارتنا يتناقش في الموضوع مع زميله في الكمارك فلعل الكمارك ستقرضنا بعض الغالونات.

واستمرت المفاهمات.. وطرحت الاقتراحات الكريمة على بساط البحث ثم صرف النظر عنها بعد برهة وكان هناك بنزين في المركز العام على بعد خمسة وثلاثين كيلومترا من موضعنا.. ولكن الطريق من تلك الجهة مقطوع ايضا.. ولعلنا نستطيع الوصول الى حافة المنخفض والدوران على الاقدام في الوحل والعثور على سيارة أخرى في الجانب الاخر؟

ويحاول كذلك عبد الرحمن ان يتلفن لاجلنا الى كربلاء لغرض طلب اخبار بغداد باحتمال عدم عودتنا في ذلك اليوم.. ولكن الخط معطل عمليا.. والتفريغات الكهربائية تتفرقع حول ايدي اولئك الذين يحاولون المساس بجهاز الاستقبال لقد انقطعنا عن المعمورة ولكن الى أي مدى.

ومع ذلك حاول احدهم ايجاد حل عملي وكان متعهدا لنقل الرمل تعود له هذه اللوريات باسرها كان هناك انذاك سبعة او ثمانية لوريات تحيط بمركز الكمارك وقد فلح في الاتصال تلفونيا بمكتبه في كربلاء طالبا مكائن ولما انقطع المطر فلربما كان لنا متسع من الوقت لنشق طريق لنا حول المنخفض

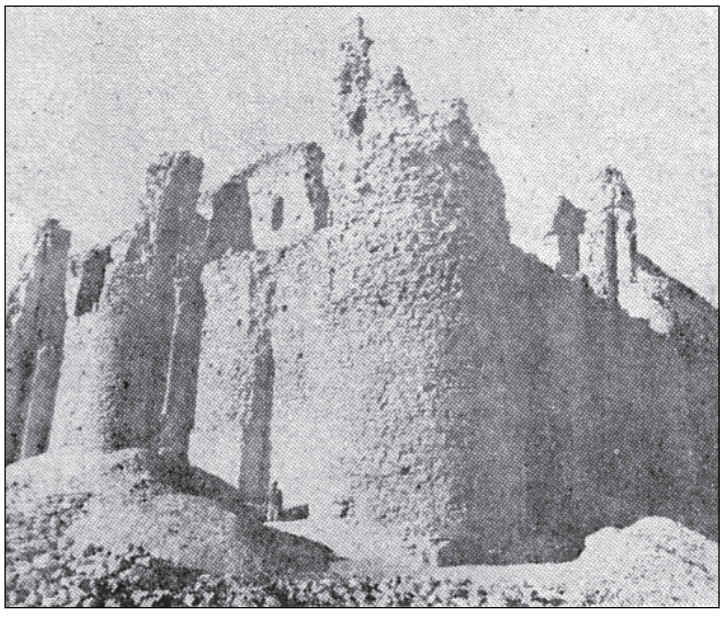

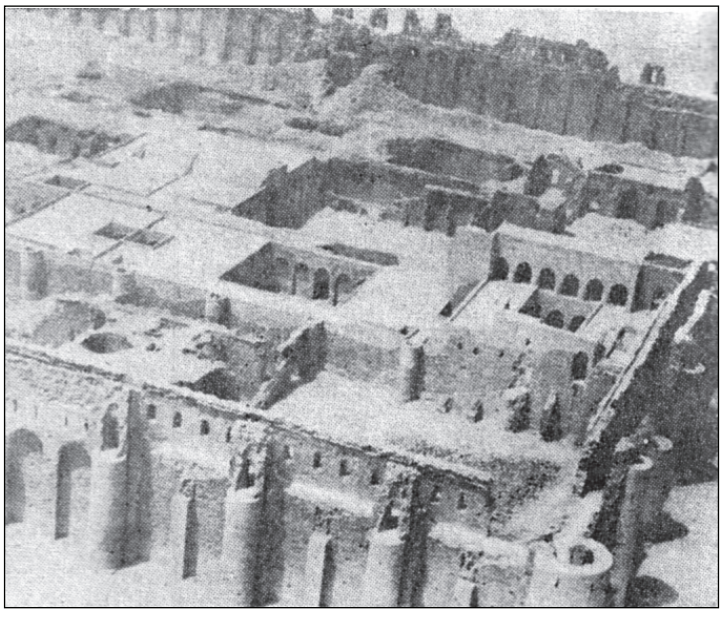

المغمور بالماء.
وكف المطر بضع دقائق فصعد رجال الكمارك الاخبار الى لوريهم الصغير وهم يقولون لنا اتبعونا على بركة الله فاتبعناهم سالكين طريقا اطول كثير المزالق مشبعا بالماء.

ليلة مع الاساطير

وبعد مسيرة بضعة كيلومترات عادت لوريات عالية كانت اقوى واعلى من سيارتنا عادت وهي تزمجر ذلك لانها وجدت نفسها غير مستطيعة شق طريقها.
واستدرنا نصف استدارة واذا بالمطر يهطل من جديد بغزارة.
اذن فالان قد انقضى النهار سدى فيجب التفكير في كيفية قضاء الليل تلطف مدير المدرسة فعرض علينا فتح باب احد الصفوف اذ في الاقل بوسعنا هناك ان نضع اقدامنا على يابسة.
وبديهي اننا سنتخذ مقاعد الطلاب بمثابة سرر لنا وهي غاية في القسوة مقاعد المدرسة هذه..
كنا نعد اثني عشر شخصا وعلى اقل تقدير كان بمقدورنا أن نستجم خلال بضع ساعات على تلك المقاعد الضيقة وقد جوزينا على تقصيرنا بما فيه الكفاية ولم يكن لدينا اختبار سبيل أخر. ولعل الليل لم يبق له أن يحل سوى نصف ساعة وتحلق اعراب القرية مع مدير المدرسة حولنا وهم يقصون على اساطير القطر التي تخص صرحهم الغامض الاسرار ودار الحديث كذلك عن القنوات التي تزوده بالماء، وفجأة ارتفع صوت مناد يقول الطريق مفتوح وقد جاءت المكائن من كربلاء.. فدفعت الرمل المبلل في الوهاد التي قطعت الطريق الجديد واللوريات ذاهبة لمحاولة العبور ودعتنا للانضمام اليها.
واعطانا قائد اللوريات تعليماته فلنا ان نكون بين هذه اللوريات واذا غصنا في الاوحال فستخف هذه لانتشالنا.
وبعد ان شكرنا اصدقاءنا الذين تعرفنا عليهم منذ بضع ساعات وهم عبد الرحمن وابو عادل والاساتذة والاعراب مجهولو الهويات شكرا اخويا عميقا وحلنا وقلوبنا تخفق ونحن نخفي مخاوفنا تحت عطاء من الممازحات المغتصبة وكان المطر قد توقف عن الهطول منذ نصف ساعة على أنه شرع يهمد من جديد ولكن قوس قزح بث الشجاعة في نفوسنا ومجددا قلنا على بركة الله.

مجهولون من الصحراء

مالبث المنخفض ان ظهر امامنا وعلى الطرف الايمن خط طويل وتبينا ان خطا طويلا يحيط به ولا تكاد تبدو حدوده وخلال ذلك رمال متموجة تنز بالمياه، وفي الوسط من الجهة الاخرى تقوم الحفارة والكرافة الميكانيكيات بواجبهما في طرق اشق واصعب.
فاطمأننا الى وجودهما ومضينا في سبيلنا وغصنا مرتين في الرمال الى مستوى العجلات وتوقفت اللوريات مرتين ونزل السواق ورؤساؤهم وملأوا الاخاديد ودفعونا وجرونا واكاد اقول حملونا وهناك على الطرق اشعلت نيران المواقع لان الليل قد خيم انذاك وانتظر رؤساء الخط وهم مستعدون لمد يد المعونة الينا.
ومضينا الطريق مطورق الان ومتماسك تحت اطارات سياراتنا ولدينا وفر من البنزين ونصيحة اخرى من رئيس الجماعة مايزال هنا وهناك ماء على الطريق ولكن الارض صلبة فانطلقوا ونحن معكم فانتعشنا بوجودهم معنا وطللنا نجتاز بركا من الماء ومستنقعات وبحيرات وبحارا يتقدمنا ملائكنا الحراس ويتابعوننا واحيانا يكونون الى جوارنا في خط مواز ونحن جميعا في غمرة اخوة الصحراء نتقدم صوب اضواء المدينة المقدسة وعتبات كربلاء التي بدأت ترتسم في الافق.
ولكن ماكدنا نلاحظ ذلك حتى ركب احد اللوريات أحد الاعراب ثم اردفه باخر كانا ينتظران على الطريق من ياخذهما وكنا مرهقين غاية الارهاق متعبين كل التعب بحيث لم نستطع ان نتبين ما يمكن ان يقع من محاذير في وجود هذين المجهولين في هذه الساعة من الليل من متاهات الصحراء وبعد فترة قصيرة توقفت سيارتنا فنزل منها الاعرابيان وهبط كذلك الرئيس واشار علينا اشارة مضمونها واصلوا مسيرتكم لوحدكم فانكم قد وصلتم الان الى مظانكم.
اما نحن فقد بقيت علينا مهمة طفيفة يجب انجازها فهناك لوري غائص في الطين على بعد ثلثمائة متر خارج الطريق حين قال لنا ذلك لمحنا فعلا اضواء السيارة.. وسنهرع لانقاذه.. الله معكم!..
قال هذه بلهجة غاية في البساطة ولم يطلب منا ولو مجرد كلمات شكر نظير ما صنعه معنا من جميل، وقد ساعد اخوانا له في الطريق يعانون مشقة والان هناك اخرون يحتاجون الى مساعدته فهو يخف الى معونتهم والمسالة لديه مسألة اعتيادية فحتى نحن الاجانب كنا بمثابة أخوة له في البيداء العربية.

*** باحث راحل**
مجلة الف باء 1971

رحلة العمر الطويل

بين الشعر.. الصحافة.. والإذاعة

عاش الاستاذ ابراهيم الوائلي نمط الحياة الذي أراده هو لنفسه واقتنع به لا كما اريد له..
ولد في بيئة فلاحية وكان طبيعيا أن يكون فلاحاً الا أنه تمرد.. وولد لأب كان رجل دين فاحب أبوه أن يكون مثله وأن يحذو الا أنه تمرد..
وأريد له أن يبتعد عن احداث الثلاثينيات والاربعينيات حباً في السلامة فلم يؤثرها وتمرد..
وأريد له ان يبتعد عن ساحة الشعر فما رضي بذلك فتمرد..
هذا هو ابو عبد الاله النحوي واللغوي والناقد والشاعر والاستاذ في الدراسات العليا بكلية الآداب- جامعة بغداد.

بدأ حديثه بقوله:
عاصرت احداثا كثيرة وقطعت حياة ليس فيها ما يحصد الا ذكريات الطفولة والصبا لأنها قضيت بين النخيل والاشجار وعلى شط العرب، فقد ولدت في بداية الحرب العالمية الاولى في جزيرة الصقر التابعة لناحية شط العرب على الضفة الشرقية مقابل كرمة علي كان اخوالي فلاحين وامي بنت فلاح سقت النخل بيديها مع أبيها وقد ادركت ذلك النخل الذي سقته امي وجنيت منه الرطب.
لم يكن عمره ليعينه على تذكر احداث هذه الحقبة الا أنه يعي سفره الى الكوفة مع أهله بسفينة شراعية ومن الكوفة الى النجف الاشرف ليمكث فيها اشهرا يعود بعدها من حيث اتى.. الا أنه يحدد زمان سفرته الاولى هذه بانها كانت بعد ثورة النجف عام ١٩١٨ باشهر وقبل ثورة العشرين.
حتى احداث ثورة العشرين لا يتذكر استاذنا الوائلي منها شيئا سوى ان الانكليز قبضوا على ابيه وعلى الشيخ محمد الاعم جد الدكتور عبد الامير الاعم في الرميثة بتهمة التحريض على الثورة الا أن الانكليز اطلقوا سراحه بعد حين.
يقول الاستاذ الوائلي:
لم تكن في القرية مدرسة ولا البصرة قريبة منا لتسهيل الدراسة فيها لذلك كلف والدي أحد قراء القرآن وكان أسمه عمران الحلو، ففتح كتابا ملأ في القرية وادخلني فيه وطلب من الاباء ان يغتنموا الدراسة لتعليم ابنائهم ختمة القرآن الكريم في ستة اشهر وعملت في الزفة وطيف بي في القرية والاطفال ينشدون الارجوزة المشهورة.
(الحمد لله الذي تحمدا حمدا كثير ليس يحصى عددا) وانتهت هذه المرحلة التي تمثل بداية مهدي بالتعلم.. بعدها رحل الوائلي بصحبة ابيه الى النجف الاشرف وفيها تلمذ لابيه ودرس على يده من كتب النحو الاجرومي وقطر الندى والفية ابن مالك بشرح ابن الناظم والمغني ومن المنطق دري كتاب الحاشية للعلا عبد الله والمطول ومختصره للتفتازاني ومن الفقه حصيلة غير قليلة.
وكان الوائلي خلال هذه الحقبة رقيقا لوالده في حله وترحاله بين النجف والبصرة والغراف.
في اوائل الثلاثينيات فتحت في القرية مدرسة ابتدائية وقبلته فيها الطلب في الصف الخامس الابتدائي الا أن والده سرعان ما اخرجه منها لانه كان يريد له ان يكون رجل دين لا موظفا في احدى دوائر الدولة.

وعاود حلقات الدراسة في النجف فكان يحضر البحث الخارجي تحت منبر الشيخ كاشف الغطاء هو ومحمد شرارة وحسين مروة وظل بين البصرة والنجف حتى عام ١٩٤٠.
يقول استاذنا الوائلي:
شهدت في البصرة البؤس والفقر والحرمان وعرفت مآسي الفلاحين وما كانوا يلقونه انذاك من اضطهاد الملايين وكنت ارى بعيني الكثير منهم يبيتون بلا عشاء لا يستر اجسادهم حتى في الشتاء الا القليل والنادر منهم من كان يستطيع شراء بعض الملابس المستعملة للنكات يتقي بها برد الشتاء.
هذه الحياة التعسة اثرت في تكويني وفي كثير من حياتي الادبية وموضوعاتي في الشعر.
في الثلاثينات اتصل الوائلي في النجف وبحكم البيئة بكثير من الادباء والشعراء من خلال جمعية الرابطة التي تاسست عام ١٩٣٣ وجمعية منتدى النشر التي تاسست بعدها بقليل التي انتمى اليها في ذلك الوقت بطلب من ادارتها.
اثناء هذه الحقبة اقبل الوائلي على دراسة العروض وحفظ الشعر حتى أنه حفظ اغلب شعر المتنبي واكثر من نصف حماسة ابي تمام.
يقول الوائلي:
فبدأت انظم الشعر في تلك الفترة ولكن يتكلف حتى اذا ما توفى الملك فيصل الاول ذهبت لان انشد شيئا في تابينه في الحفل الذي اقيم في النجف وقتذاك فانشدت مرثاتي وكانت على هيئة رباعيات ومطلعها:
كم لهذا الزمان من عشرات
ولكم للمنون من فتكات
فكانت اول قصيدة عرفت لي في محافل النجف واذكر انها استحسنت.

الوائلي الصحفي

ولما ادركت الوائلي حرفة الشعر والادب ادركته حرفة الصحافة فبدأ لا يدري الا انه سرعان ما درى ذلك ووهي.. اول اتصاله بالصحافة كان عام ١٩٣٤ حين نشر في جريدة الراعي التي كان يصدرها الاستاذ القاص جعفر الخليلي قصيدة في وصف الطبيعة مطلعها:
نغمات الطيور في الاوكار
علمتني روائع الاشعار
ثم تلت هذه القصيدة ست قصائد اخرى وكان أحد هذا النشر بداية معرفته بالاستاذ الخليلي واختفت الراعي بعد اربعين عددا اذا اغلقت لجراتها في نقد الحكم وقتذاك بعدها بقليل اصدر الخليلي الهاتف فكان ان توثقت علاقته بالصحافة.
يقول الاستاذ الوائلي:
وصدرت الهاتف فكنت انشر فيها باستمرار وكانت جريدة ادبية اسبوعية تصدر صباح كل جمعة وكثر كتابها وشعراؤها اذكر منهم ذنون ايوب، عبد المجيد لطفي، محمد شرارة، حسين مروة، احمد الصافي النجفي، محمد جمال الهاشمي، والشاعر المعروف مرتضى فرج الله..
اما كتابها من لبنان فاذكر منهم اسكندر حريق وفرحان حمادة ونايف نصر والطبيب رشيد معتوق.
حررت في جريدة الهاتف من سنة ١٩٣٥ حتى اواخر ١٩٣٩ وكان الخليلي صاحبها يسافر الى لبنان في الصيف فاكون انا محله في تنظيم الجريدة وتبويبها والاشراف عليها واحيانا كتابة الافتتاحية الى ان يعود الخليلي من لبنان.
وانتقل الخليلي الى بغداد فامسك الوائلي من النشر في جريدته التي اصدرها في بغداد وانظم الى مجلة الغري التي كان يصدرها وقتذاك شيخ العراقيين واشرف على اصدار اعدادها الاولى عام ١٩٣٩ وسرعان ما تركها الا أنه نشر فيها فيما بعد بعض القصائد والمقالات.

الوائلي والاذاعة:

صيف عام ١٩٤٠ طلبت الاذاعة من استاذنا الوائلي ان يشارك في بعض نشاطاتها ضمن دائرة اهتماماته وتخصصه فنظم قصيدة وارسلها فطلب اليه الحضور لانشادها فحضر وانشدها وكانت تلك اول صلة له

الوائلي في حديث صحفي

بالاذاعة.
يقول: وفي الليلة الثانية كنت اجلس في مقهى بجانب الكرخ فجاء الجواهري يسأل عني وعرفته وعرفني وكان هذا اول لقاء به.. فاخذ القصيدة التي انشدتها في دار الاذاعة ونشرها في اليوم الثاني في جريدة الرأي العام بعد ان كتب لها مقدمة رائعة.. ومن الظريف ان الاجر الذي دفعته الاذاعة لي لقاء تلك القصيدة كان ديناراً واحدا.
كانت هذه القصيدة فاتحة علاقة بالاذاعة امتدت ما يقارب السنتين واقتصرت على الشعر فقط، فقد ساهم في مهرجان الطيران العسكري ومهرجان الجيش عام ١٩٤٠ وفي مناسبات أخرى.. وكان ما ينشده في دار الاذاعة ينشر في الصحف مما اعان على أن يكون معروفا في اوساط بغداد الصحفية والادبية.
يقول الوائلي:
وفي ذلك الوقت صادفني في بغداد كثير من المعارف ممن لنا علاقات بهم فرجحوا لي ان امارس مهنة التدريس ووافقت وصدر لي امر التعيين في بداية السنة الدراسية لعام ١٩٤٠-١٩٤١ وعينت مدرسا للغة العربية في مدرسة اعدادية اهلية وعندها اشار على الاصدقاء ان أطرح العمة والجبة واستبدلهما بالسترة والبنطلون فاستعنت بخبرة صديقي الدكتور المخزومي في الانتقاء والشراء فطرحتهما الى حيث لا رجعة وباشرت التدريس واذكر ان واحدا من المغتشين مشرف تربوي كان قد زارني واستحسن في مادتي واسلوبي فسألني عن راتبي وكان اثني عشر دينارا فعجب وكتب الى وزارة المعارف وقتذاك بطلب زيادته.
ولم تنقطع صلة الوائلي بالاذاعة ولا بالهاتف والغري في النجف ولا بصحف بغداد خلال عمله في التدريس بل استمر في النشر على ان صلته بالجواهري وجريدته الراي العام قد توقفت خلال هذه الفترة.

ثورة مايس

يقول الوائلي:
وفي ثورة مايس كنت في بغداد فشاركت فيها مشاركة غير قليلة بماأستطيع من الشعر والعمل، ففي اليوم الاول اذعت قصيدة من دار الاذاعة نددت فيها بالاحتلال وبالانكليز ثم اردفتها بقصائد اخرى وانتهيت الى كتائب الشباب التي كان يرأسها الشهيد يونس السبعاوي وزير الاقتصاد في وزارة الثورة وكنا نجتمع في مكتبه في مقر وزارته بفندق ريجت بالاس واذكر من الحاضرين الدكتور عبد الكريم كنونة وحسن الدجيلي وعباس كاشف الغطاء واخرين من الشباب.. في الليل كنا نقوم بما يشبه الحراسة والتفتيش وكانت مهمتي في هذا الامر بجانب الكرخ.
وطلب الي ان أسافر الى النجف الاشرف لاحرض اهلها على المشاركة في الثورة وطلب الى الصحف في بغداد ان تمهد لذلك ثم سافرت عن طريق كربلاء وعند مدخل المدينة كانت هناك نقطة عسكرية تقوم بمهام الحراسة والتفتيش فطلبوا مني هويتي ولمك تكن معي وكادوا يعتقلوني لولا تدخل المرحوم المحامي محمد عبد الحسين صاحب جريدة الاستقلال النجفية التي كانت تصدر اثناء ثورة العشرين اذ عرفهم بي.
وفي كربلاء اتصلت بمتصرف اللواء شاكر حميد فسهل لي مهمتي ثم غادرته الى النجف وكان لنا ما اردنا وعدت الى بغداد فطلب الي ان اسهم في الاذاعة فاستجبت واخذت انشد بعض القصائد واحدة كل ليلة.
كان مدير الاذاعة وقتذاك الاستاذ سلمان الصفواني وكان الدكتور صفاء خلوصي ولم يكن دكتورا وقتذاك مشرفا على ادبيات الاذاعة وكانت الاذاعة في ذلك الوقت في بيت الاستاذ المرحوم كمال ابراهيم عند بداية شارع عمر بن عبد العزيز قرب ما تسمى الان بساحة عنتر.. فكنت اتي الى مديرية الدعاية وتاتيني سيارة شركة طبارة وعبود للسكاير واركب مع السكاير حتى لا لا يعرفني احد فاذهب الى بيت الاستاذ كمال ابرهيم واذيع ولم يكن في هذه الاذاعة سوى الصديقين حسين الكيلاني وعبد اللطيف الكمالي.
في يوم ٢٤ مايس ١٩٤١ بلغني ان اربعة من وزراء الثورة قد تركوا بغداد فارسلت الى كربلا ء لزيارة السيد علوان الياسري لاطلاعه على هذا الحدث باعتباره عضو مجلس الاعيان الذي ترأس جلسة المجلس التي تم فيها خلع عبد الاله من وصاية عرش العراق وتنصيب الشريف شرف وصيا مكانه فبدت على وجه السيد الياسري الخيبة وبقيت في كربلاء تلك الليلة وفيها سمعت المذيع يعلن دخول عبد الاله الى بغداد بدبابة انكليزية.

الوائلي الاستاذ

صيف عام ١٩٤٥ قدم الاستاذ الوائلي طلبا الى جامعة القاهرة وكان فؤاد الاول سابقا للدراسة فيها والحصول على الليسانس في اللغة العربية فقبل في كلية العلوم فغادر بغداد بصحبة الاستاذين عبد الحميد الراضي وعبد الرضا صادق اللذين قبلا هما الاخران معه فمكث فيها اربع سنوات حصل بعدها على الليسانس بدرجة جيد جدا فالتحق على الفور بقسم الدراسات العليا وبعد فترة حصل على الماجستير عن رسالته الشعر السياسي في القرن التاسع عشر كجزء من متطلبات الماجستير والتي طبعت مرتين.
يتحدث الاستاذ الوائلي عن حياته في القاهرة فيقول:
اثناء وجودي في القاهرة اتصلت بالكثير من الادباء والصحفيين ولا سيما المرحوم الاستاذ احمد حسن الزيات الذي نشر لي قصائد كثيرة في مجلة الرسالة قد تكون معظم ما نظمته هناك.. في القاهرة نشرت كذلك في مجلة الفجر الجديد التي كان يصدرها احمد رشدي صالح وفي الفكر الجديد التي كان يصدرها السيد قطب وكان من اصدقائي الاعزاء قبل ان يدخل في محيط الاخوان المسلمين وكانت لي صلة طيبة بحزب الوفد المصري وقد نشروا لي في صحفهم بعض المقالات ضد معاهدة بروتسموث كجريدة البلاد وصوت الامة وجريدة الكتلة التي كان يصدرها مكرم عبيد.
وكانت لي صلة طيبة بالدكتور زكي مبارك وقد دارت بيني وبينه مساجلات على صفحات جريدة البلاغ.

مؤلفات الوائلي:

لم ينشر الوائلي من شعره اي ديوان رغم كون معظم شعره منشورا في الصحف ويقول أنه قد جمعه وهو ينتظر من ينشره.
له ثلاثة مؤلفات الشعر السياسي في القرن التاسع عشر وقد طبع مرتين وثورة العشرين في الشعر العراقي واضطراب الكلم عند الزهاوي وله من البحوث حرب طرابلس واثرها في الشعر العراقي والشعر العراقي في القرن التاسع عشر ومنزلته من الشعر في مصر والشام ولغة الشعر العراقي في القرن التاسع عشر ومن لفيط الى البازجي وهو بحث قومي والتجديد في الادب معناه وتطوره عدا هذا مقالات كثيرة في التراجم والنقد ولديه الان دراسات وبحوث مهيأة للنشر ومنها التراث العربي وأثره في شعراء القرن الماضي.
درس الاستاذ الوائلي في كلية الاداب جامعة بغداد وفي كلية الشريعة والمستنصرية واستقر به المقام الان في قسم الدراسات العليا في كلية الاداب بجامعة بغداد كاستاذ حصل على لقب الاستاذية منذ زمن بعيد ورغم بحوثه ومؤلفاته في الادب الا انه كما يبدو من خلال اشرافه على اطاريح دارسي الماجستير والدكتوراه لغوي ونحوي ولا اشك في ان بيئته الدراسية قد امدته بالكثير ورسخت فيه اهتماما في هذين الحقلين من حقول العربية.

مجلة الاذاعة والتلفزيون اذار 1974

ملك لم يحالفه الحظ

صباح علي
باحث وكاتب

بعض الناس يتصورون ان الملوك محظوظون وانهم سعداء محسودون فقد ينطبق هذا الرأي على بعض الملوك ولكن من المؤكد ان الملك غازي ما كان يوم من الايام محظوظا ولا سعيدا وانما كان انسان سيء الحظ.
في الحادي والعشرين من اذار عام ١٩١٢ وضعت السيدة حريمة بنت الشريف ناصر بن علي مولودا ذكرا في مكة المكرمة اسمته غازيا تيمنا بالغزوة التي كان يقودها زوجها الامير فيصل بن الحسين في عسير لتأديب بعض القبائل التي خرجت عن ولائها للدولة العثمانية، ولسوء حظ هذا الامير كتب عليه القدر ان يكون بعيدا عن والده معظم حياته القصيرة فقد تركه والده في الحجاز خلال احداث الثورة العربية عام ١٩١٦ ولم يستصحبه معه عندما تولى العرش في سوريا عام ١٩٢٠ وابقاه مع عائلته في مكة عندما تقرر اسناد عرش العراق له عام ١٩٢١ وظل بعيدا عن والداه حتى تشرين الاول من عام ١٩٢٤.
لقد لازم النحس الملك غازي منذ ولادته في مكة المكرمة حتى مقتله في بغداد مساء ٣ نيسان عام ١٩٣٩ وهو في ريعان شبابه لقد حرم منذ طفولته من رعاية ابيه الذي كان منهمكا في مقاتلة العشائر المنافسة لعائلته وحرم من التعليم الابتدائي بسبب الحوادث التي نشبت بين السعوديين والهاشميين وحرم من الاختلاط بمن هم في سنه من الاحداث لحرص والدته الشديد عليه كونه الولد الوحيد بين ثلاث بنات.
وعندما حل في بغداد من تشيرين الاول عام ١٩٢٤ وجد ان كل شيء قد تغير بالنسبة له فاثر ذلك على شخصيته الى درجة ان والده ساوره الشك بوجود نقص في قواه العقلية ولم يكن في بغداد يومذاك اطباء نفسانيين فاستدعى مدير المعارف العام ساطع الحصري وقال له بصوت مختنق (اذا كان غازي لا يتصف بالذكاء اللازم لولي عهد ولملك واذا كان غازي لا يخلو من غباوة فانا لا اتردد في العمل بما يحتمه علي الواجب الوطني) ولكن الحصري اثبت للملك ان قابليات ولده العقلية طبيعية.

قرف الامير

شعر الملك بالراحة لهذه النتيجة فبادر الى اختيار افضل المدرسين في بغداد لغرض تعليمه وأوكلت مهمة الاشراف على ذلك الى طه الهاشمي ثم جاء بمربية انكليزية للاشراف على تربيته وبذلك جمع نقيضين في حياة ولده الصغير، فقد كان عليه ان يستمع صباحا الى دروس يلقيها عليه الشيخ منير القاضي ويخضع في المساء لاوامر مربيته الاجنبية ولا شك ان التناقض في المفاهيم أدى الى قرف الامير مما يجري حوله فقرر.. والده ان يبعثه هذه المرة الى انكلترا لغرض الدراسة.
في شهر نيسان عام ١٩٢٦ وصل الامير البالغ من العمر اربعة عشر عاما لندن واقام مع اسرة انكليزية محافظة هي اسرة الاسقف جونسون وفي لندن حدث للفتى ما حصل له في بغداد عندما انتقل اليها من مكة اذ ظهر عليه السأم فتقرر عرضه على طبيب نفساني اوصى باعادته الى العراق.. ولما عاد الى بغداد عام ١٩٢٨ الحقه والده بالمدرسة العسكرية الملكية فاظهر تفوقا في التدريب والفروسية وضعفا في الدروس.

افضل الفرص

تخرج غازي من المدرسة العسكرية عام ١٩٣٢ فاجبره والده على ملازمته لغرض اكتساب الخبرة العملية.. كانت هذه الفترة من افضل الفرص في حياة الامير لممارسة ما هو بحاجة اليه من خبرة ولسوء حظه فان هذه الفرصة كانت قصيرة توفي والده بعد عام واحد فاصبح ملكا يوم ٨ ايلول عام ١٩٣٣ دون ان يكتسب خبرة كافية ولا تعليما عاليا.
واستدعت ضرورة على ان يتزوج الملك الشاب البالغ من العمر ٢١ عاما لينجب وليا للعهد وقد سبق له ان اعجب باحدى بنات السيد ياسين الهاشمي اللواتي كن يترددن على قصر الزهور لزيارة شقيقاته الاميرات ففاتح شقيقاته بالامر ولقى ترحيبا بشأن رغبته ولكن سوء الحظ لازمه مرة اخرى اذ ما ان وصل الخبرالى اسماع نوري السعيد حتى شمر عن ساعديه واعلن رفضه لهذه الفكرة وهرع الى عمان وتمكن من اقناع الملك عبد الله عم غازي بالحضور الى بغداد لمنعه من تحقيق رغبته وارغامه على الزواج من ابنة عمه الاميرة عالية ابنة الملك علي ملك الحجاز السابق.
سافر الامير عبد الاله الى تركيا واحضر شقيقته التي كانت مقيمة في الاستانة وتم عقد قرانها على الملك يوم ١٩ ايلول عام ١٩٣٣ بعد ١١ يوما من وفاة والده.
لقد كان لهذه الزيجة الاثر البالغ على تصرفات الملك الشخصية في ما بعد، ولما حاول ياسين الهاشمي رئيس الوزراء لفت نظر الملك الى ذلك قام الفريق بكر صدقي بانقلابه المعروف يوم ٢٩ تشرين الاول عام ١٩٣٦ وقد ساد الاعتقاد لدى البعض في حينه ان للملك ضلعا في الامر ولسوء حظه فان جعفر العسكري زوج شقيقة نوري السعيد قتل في يوم الاول للانقلاب مما دفع بنوري الى التخطيط للتخلص من الملك وقد ذكر الشهيد صلاح الدين الصباغ ان صباح نجل نوري السعيد فاتحه بشان التخلص من الملك فنهره الصباغ.
اما السفير البريطاني موريس بيرسون فقد ذكر في مذكراته انه فاتح عبد الاله ونوري السعيد بضرورة وضع حد للنشاطات الملك التي اغضبت الانكليز وهكذا لازم سوء الحظ الملك غازي الى يوم مقتله في حادث مازال الغموض يلفه حتى اليوم.
حكى السيد فؤاد عارف مرافق غازي السابق حكاية التالية: (اصطحبني الملك بسيارته في احد الايام من قصر الزهور الى قصر الملك الواقع في ابي غريب، وفي اثناء سيرنا شاهدنا رجلا مسنا يؤشر لنا فاوقف الملك السيارة التي كان يقودها بنفسه، فتقدم منه الرجل وسأله كم تأخذ من اجرة الى ابي غريب فقال الملك ١٠٠ فلس فاجابه الرجل كلا ساعطيك درهما فوافق الملك وسمح له بالجلوس في المقعد الخلفي وكان الرجل يعتقد انه يستقل سيارة اجرة وعندما وصلنا الى ابي غريب وكانت يومذاك قرية صغيرة تقصد الملك الوقوف قرب مركز الشرطة فهرع مأمور المركز وافراد الشرطة لاداء التحية للملك وقد اعتاد هؤلاء على مشاهدته في ذهابه وايابه بين فترة واخرى ولما شاهد الرجل القابع في السيارة مراسم اداء التحية الملكية ادرك حجم الورطة التي اوقع نفسه فيها فترك السيارة وهرب مهرولا والملك ينظر اليه ويبتسم).

شعر الملك بالراحة لهذه النتيجة فبادر الى اختيار افضل المدرسين في بغداد لغرض تعليمه وأوكلت مهمة الاشراف على ذلك الى طه الهاشمي ثم جاء بمربية انكليزية للاشراف على تربيته وبذلك جمع نقيضين في حياة ولده الصغير، فقد كان عليه ان يستمع صباحا الى دروس يلقيها عليه الشيخ منير القاضي ويخضع في المساء لأوامر مربيته الاجنبية ولا شك ان التناقض في المفاهيم أدى الى قرف الامير مما يجري حوله فقرر.. والده ان يبعثه هذه المرة الى انكلترا لغرض الدراسة.
في شهر نيسان عام 1926 وصل الامير البالغ من العمر اربعة عشر عاما لندن واقام مع اسرة انكليزية محافظة هي اسرة الاسقف جونسون وفي لندن حدث للفتى ما حصل له في بغداد عندما انتقل اليها من مكة اذ ظهر عليه السأم فتقرر عرضه على طبيب نفساني أوصى باعادته الى العراق..

محمد كريم

صوت خاص في الأغنية البغدادية

الموهبة التي لم تستطع هضم لغة التطور

عادل الهاشمي

الارتياب عند المغني الحقيقي يتصل بالاحتمالات غير المحسوبة فيما يتعلق بحنجرته.. فهو يحاول أن يدفع عنها كل حالة طارئة تلحق بها.. كما يلحق الصدأ بالحديد.
والحنجرة رأسمال المغني، ولهذا يحرص كارها على الالتزام بنظام المحافظة عليها.
والكثير من المغنين الذين تسللت اسماؤهم من ذاكرة الأسماع وقبعوا في زوايا النسيان يستعيدون صور الذكريات العالقة تلوح لهم كأحلام يدعون أنها سبب ابتعادهم عن الغناء.. هو أن الحياة قادت خطاهم لغير ما يشتهون.
وواقع الحال ان هذا الادعاء أصبح نغمة يعزف عليها اصحاب الحناج الصدئة تلك التي لم تعد تمتلك ما تعطيه، لقد استنفدت حدود الممكن وبدأ الضوء يشحب من حولها وصار لزاما عليها أن تنسحب من ساحة الغناء.
لكننا في المقابل لا نخطئ إذا ما قلنا ان بعض الحناجر أقعدها اختلال المقاييس في دنيا الغناء فلا احد لم يلمس التغيرات التي حدثت حيث تمكنت فيه الأصوات الواهنة الملساء الرخوة المغتصة المبللة من احتلال المواقع المتقدمة في الغناء، بينما انزوت الأصوات المتدبرة العذبة القوية الجميلة.. تاركة الميدان للأصوات التي يعوزها المران والدربة.
ومحمد كريم.. صوت يرمز الى الاحتفاظ بالإيحاءات الايجابية في الأغنية البغدادية.. بل انه اكثر الأسماء لمعانا وسطوعا.. كان في الخمسينيات وفي منتصف الستينيات ذلك الصوت المجلجل الذي يملأ حياتنا بهجة ويشجي الأسماع باعذب الألحان التي تنساب من حنجرته المتمكنة المتدربة الرشيقة.. في فترة ازدهار الأغنية البغدادية كان محمد كريم صورة من حقبة تاريخية عاشها الغناء العراقي هذه الصورة المدهشة جاء عليها حين من الدهر لم تستطع أن تقاوم لغة التطور فذهبت إلى النسيان.
وحقيقة الأمر أن محمد كريم هرب مما يحسه في أعماقه، هرب بعيدا عن ضغط الصراع في حين أن العدالة الحقة هي التطلع إلى معاملة جديدة مع التطور.
لكن المهم أننا في هذه القطعة نسجل الجوهرة في الحقبة فذاكرة المستمعين تتذوق نوعا من الغناء المعتق حيث يهزها الحنين اليه، لأنها محكومة في عصرنا بالسماع لأغان مازالت تبحث عن هويتها الضائعة.
ومحمد كريم مازال ناضر الحنجرة وان فقد بعض رنين نبراتها، ويبقى السؤال الذي يتردد هل من جديد في حنجرة محمد كريم وهل في الإمكان تحويل هذا الجديد إلى عطاء فني؟ وواقع الحال هو أن الفن شيء معبود عند الفنان الأصيل وواسطة زاهية ممتلئة لنقل العواطف والأفكار والخواطر النبيلة!
ونجاح الفنان الموهوب المتعلم من اقتصاء سر لغته الفنية وإماطة اللثام عن عناصرها المتنوعة ولهذا فان المغني الفنان هو تعبئة دائمة ومدهشة لان طريقة اكتشافه لعناصر اقتداره ووعيه الكامل الدائم.
لقد أتاح الوقت لمحمد كريم أن ينمي موهبته وان يكتسب فيها مرانا ليخترق عالم التجربة الغنائية بتقص دقيق ومواجهة بارعة لضغوط الحياة.. بالمقابل فان محمد كريم لم يدخل التجربة المعرفية الثقافية في الموسيقى والغناء. فهو لم يتعلم قراءة النوتة ولا كتابتها ولم يحسن الضرب علي أية آلة موسيقية، فكانت الموهبة تسير عارية في حقلها الخاص بدون ظهير ثقافي يكسبها اللغة بعالم الموسيقى اللا محدود.
ومحمد كريم مثال للفنان الذي تذوق من الفن صورته المانعة الزاهية الرخية وتجنب الجراحات فالفنان المعاني المواجه المستبصر المعذب هو جامع للجراحات الجراحات في التطور وفي الاكتشاف الجديد وفي البحث عن الأسرار اذ أن عذوبة الفن الغنائي عند محمد كريم هو في انغلاقه فالزمن يمضي في فهمه كما لو كان لا يمضي.
واجه الفنان الغنائي بسعي تفاخري يخترق دوامات حياته، منحه أمل أن ينضم للدورة الاولى للتمثيل في معهد الفنون الجميلة، ومن ثم ليقدم أغنيته الأولى في الإذاعة على الهواء عنوانها حيران بعدك ثم أغنيته الثانية سحر حبك لوعني والأغنيتان من ألحانه وكلماته.
تأثر عميقا بصوت محمد عبد الوهاب الكرواني وكانت اغنية يالوعتي ياشقاي من فيلم الوردة البيضاء هي التي رسخت فيه حب الغناء ثم تأثر بمحمد عبد المطلب لفترة من الوقت وكان انشداده العميق الآخر بعد عبد الوهاب هو لفن فريد الأطرش الذي شغل كيانه الفني وهو دائم السماع لعبد الوهاب وام كلثوم وفريد الأطرش وأسمهان وصالح عبد الحي ورياض السنباطي وليلى مراد.
هؤلاء هذبوا فيه الذوق الفني وتعلم منهم كيفية انتقاء الكلمات، يذكر باعتزاز لقاء عاشه في بداية حياته في بلودان بسوريا حيث عقد مؤتمر كشفي عربي في العام ١٩٣٦ وكان محمد كريم ضمن الوفد العراقي حيث غنى في المؤتمر وهو تلميذ أبوذية عراقية وجاء من يقول له ان احد الفنانين يريد رؤيتك وكان هذا الفنان فريد الأطرش وشقيقته أسمهان حيث ابدى الأطرش إعجابا خاصا بصوته وشجعه على الاستمرار في الغناء.
طارت له أغان بغدادية وانتشرت هنا وهناك ومازالت حلاوتها تشجي الأسماع، انا الربيت والغيري يصيرون، يا شاعر النار بقلبي النار، من الحان احمد الخليل وحاسديني عليك، تستاهل ياقلبي، لا ياسالي لا تظن اني احبك، الدنيا حلوة ياسمين، ياورد، من الحان علاء كامل ودايما على لساني يا لحبهم خاب ظني، من الحان سمير بغدادي سلم ياحبيب الروح، من الحانه، قصيدة همسة الليل من الحان محمود عبد الحميد، ابوي شلون انساك، من الحان محمد عبد المحسن وعدد من الاغاني الاخرى غنى ما يقرب من ١١٥ أغنية.
مؤلف وملحن النشيد الشهير الجيش سور الوطن في عام ١٩٤٥.

تركت الغناء لأسباب اجتماعية

× كان السؤال الأول الذي وجهناه إلى محمد كريم هو لماذا تركت الغناء؟
– تركت الغناء لأسباب اجتماعية تتعلق بالدرجة الأولى بنظرة المجتمع إلى المغني.
× الم تكتشف هذه النظرة إلا أخيراً؟
– لأسباب خاصة لا أريد الخوض فيها جعلتني اترك الزمن الغنائي، قبل الطفرة النوعية التي شملت نظرة المجتمع للفنان المغني وهي جزء من التربية الجديدة التي جاءت بها الثورة.
× متى هويت الغناء؟
– هويت الغناء وانا طالب صغير في ثلاثينيات هذا القرن (القرن المنصرم)، إلا أنني دخلت الإذاعة كمحترف في عام ١٩٤٧.

صوتي متكامل

× حدثنا عن صوتك؟
– إن صوتي متكامل فيه قرار وجواب.
ورأينا في صوت محمد كريم انه من الأصوات الجميلة المؤثرة التي عاشت ردحا من الزمن تعطي بتمكن وسلاسة يغني بعذوبة حلقت حولها الأسماع فكانت أغانيه تترنم بها ربات البيوت وطالبات المدارس وتتناقلها الشفاه، يتسع صوت محمد كريم إلى عشرة مقامات بدرجات صوتية أو تزيد بقليل، تنطلق مقاماته سليمة رائقة، تؤدي بكفاية، عالية الألحان المصممة لها، ونبراته فيها حلاوة ظاهرة وجزالة متميزة في الغناء.. تطرب السامع ذبذباته الصوتية بطيئة قليلا، ذلك أن ضيق تلك الذبذبات أو سعتها لا يؤثران على سرعتها، في أوتاره الصوتية غلظة وهذه الغلظة متكونة أساسا من بطء الصوت غير أن جمال نبراته الغنائية يقلل من تأثيرات هذه الغلظة في أدائه يكمن الحذق والبراعة والمسافة بين الدرجات الصوتية متوسطة ولذلك فان محمد كريم لا يلجأ إلى الجوابات العالية في غنائه، لان إطلاق صوته يعرضه إلى الضعف لهذا فان درجة غنائه لا تكتمل إلا عند الطبقة المتوسطة.
لا يستطيع صوته أن يصل إلى أصول في القرار بأية حال من الأحوال لذلك فان اغلب الألحان التي أداها كانت تحاول أن تكون مناسبة لدرجات صوته، يزدهر غناؤه وتنطلق نبراته في غناء المتوسط في الطبقة من ناحية العلو والانخفاض لذلك بقي صوته في المقدمة من أصوات الأغنية البغدادية عميق الأصداء قوي التأثير يحاور الأسماع في ألفة وانسجام.
× لماذا لم تتعلم العزف على آلة موسيقية؟
– من المؤسف جدا أنني لم أتعلم العزف على أية آلة موسيقية والسبب يعود إلى التزمت الذي كان يحكم بيتها، فلقد حطم والدي ثلاثة أعواد ومهما يكن فأنني أتحمل لوحدي هذا القصور.

انعدام المقاييس العلمية في اختيار الأصوات؟

×ما رأيك في واقع الغناء العراقي؟

– في عصرنا كان لكل صوت غنائي ما يميزه فنحن نسمع أي صوت غنائي نستطيع على الفور أن نعرف اسم صاحبه، حاليا فان الغناء العراقي يعيش في فوضى الأصوات المتشابهة التي تنقصها الأصالة والتفرد فاغلب الأصوات لا تستطيع أن نعرفها، فأي صوت يتقدم للإذاعة والتلفزيون لا يلقى مقاومة لانعدام المقاييس العلمية لاختيار الأصوات واتساع لجنة فحص الأصوات بحاجة إلى تطعيمها بالدارسين والمتخصصين لوقف التداعي الذي حل بواقع الغناء العراقي.

في عصرنا عانينا الكثير والكثير ومرت سنوات من المحاولة حتى استطعنا أن نحصل على فرصة الوقوف خلف الميكرفون لا سبيل لإنقاذ سمعة الغناء العراقي غير العودة إلى الأصالة وتطعيم لجان الفحص بالمتخصصين فأنني أقولها بمرارة أيها الغيارى حافظوا على السمعة الفنية للغناء العراقي.

اسألوا الإذاعة

× لماذا لم نعد نسمع لك شيئا من تراثك الغنائي في الإذاعة؟

– كنت أتمنى أن توجه هذا السؤال إلى الإذاعة نفسها، أقولها بلا فخر ولا غرور أن الأغاني التي أديتها رددها الجمهور البغدادي على امتداد عصرنا بل أن المعاصرين من السمعية مازالوا يحتفظون لهذه الأغاني بالكثير من التقدير وحقيقة الأمر أن الإذاعة قد منعت الكثير من الأغاني العائدة لي وهي بهذا الإجراء قد قضت على أجمل أغاني التراث البغدادي ومهما يكن من أمر فأنني مؤمن بان الإذاعة ستعود يوما ما إلى الأغنيات العراقية الأصيلة.

× على امتداد عصر بأكمله ماذا ترى في الأصوات النسائية في الغناء العراقي؟

– لازلت اعتقد أن أعظم الأصوات النسائية التي قدمها الغناء العراقي هي ثلاثة.. ما عداهن لا أجد في أي صوت نسائي إلى الآن ما يستحق الإشارة اليه، هذه الأصوات هي زكية جورج، سليمة مراد، زهور حسين، ولكل واحدة من هؤلاء لها صوت مميز وتأثير خاص على السامع في مرحلة فنية كاملة، فزكية جورج تشجه السامع وتنقله الى عالم من المتعة الراقية، وسليمة مراد وجبة دسمة من الغناء الذاهب إلى الأسماع والمؤثر في النفوس إلى حد بعيد وزهور حسين صوت شعبي ممتاز ملامحه الأصالة البغدادية الفريدة.

× وعن آرائه في قدرات الملحنين العراقيين هؤلاء الذين طرحنا عليه اسماءهم حيث أجاب:

يحيى حمدي.. طاقة من الموهبة الجيدة في التلحين فقط.

احمد الخليل.. ملحن متمكن من صنعته.

سمير بغدادي.. فنان لم يعط لفن التلحين جهده كامل.

علاء كامل.. ملحن صاحب قدرات غير محدودة.

عباس جميل.. فنان وملحن اعتز به.. وله فضل كبير في الأغنية العراقية ولقد فاتني أن اغني له لحنا من ألحانه العراقية الصميمة.

رضا علي.. مقتدر من التلحين وله موهبة جيدة وكان الأفضل له أن ينصرف للتلحين دون الغناء.

محمود عبد الحميد.. في التلحين والغناء جدير ومتمكن.

محمد عبد المحسن.. في الأداء مقتدر وكان الأفضل له لو انصرف للغناء دون التلحين.

× ولما سألناه عن ملحني الجيل الحالي قال..

– لا اعرف لأحد له فضل في التلحين وباقتدار سوى الفنان محمد جواد أموري ففي رأيي انه اثبت فعلا انه الملحن الوحيد الذي يمكن أن تقارن انجازاته في عالم الأغنية العراقية بانجازات ملحني جيلنا.

الف باء العدد 581

من دفتر الصحفي الراحل عبد القادر البراك

4 عيارات نارية تسجل أول حادث اغتيال سياسي شهدته بغداد

في مساء يوم الجمعة المصادف ٢٢ شباط من عام ١٩٢٤ جرت في بغداد أول عملية اغتيال سياسي في تاريخ العراق الحديث إذ بينما كان السيد توفيق الخالدي متوجها الى داره سيراً في احد ازقة مجلة جديد حسن باشا اعترضه شخص مجهول واطلق عليه اربع عيارات نارية أردته قتيلا في الحال وعند وصول الشرطة إلى محل الحادث ومشاهدة المجني عليه تقرر نقله الى المستشفى لاجراء الكشف الطبي عليه وبعد اتخاذ الإجراءات المطلوبة تبين ان الجاني اطلق عياراته من الخلف فاخترقت ظهره ومزقت قلبه وقضت عليه في الحال وان الاطلاقات كانت من عيار ٩ ملم ولم يعلن عن الحادث إلا بعد مرور يومين على أمل العثور على الفاعل ولكن جهود التحقيق ذهبت سدى ولم يلق القبض على الجاني وسجل الحادث ضد مجهول.

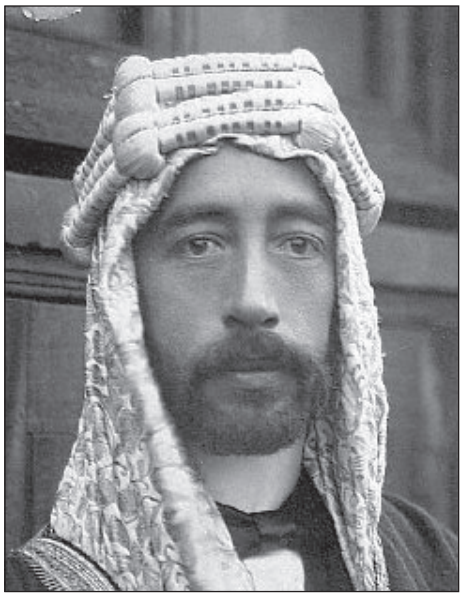
الملك فيصل الاول

بيرسي كوكس

تركي الهوى.. جمهوري النزعة

أما المغدور السيد توفيق الخالدي فقد كان شخصية معروفة لدى الأوساط البغدادية بثقافته العالية وسعة اطلاعه يتكلم الانكليزية والفرنسية والتركية وكان ضابطا في الجيش العثماني ثم اختير نائبا في مجلس "المبعوثان" عن ولاية بغداد وقد عاد إلى العراق بعد سقوط الدولة العثمانية وأشيع في حينه انه كان تركي الهوى جمهوري النزعة رغم صلته القوية بالمندوب السامي البريطاني في بغداد مما قلب عليه أعوان الملك فيصل الأول فاخذوا يكيدون له المكائد وقد أدى ذلك الى حرمانه من التمتع بالمنصب الوزاري عندما شكل السيد عبد الرحمن النقيب أول وزارة في تاريخ العراق الحديث في شهر تشرين الأول من عام ١٩٢٠ ويقال أن السير برسي كوكس طلب إسناد وزارة الداخلية الى الخالدي لكن الملك فيصل الأول عارض ذلك واكتفى بتعيينه بمنصب متصرف لواء بغداد (محافظ) وعندما شكل النقيب وزارته الثانية في أيلول عام ١٩٢١ ظل الخالدي خارج الوزارة رغم ميل الانكليز له ولكن الفرصة حانت عندما استقال خمسة وزراء لخلافهم مع الملك فيصل كان من بينهم وزير الداخلية فاسند المنصب إلى توفيق الخالدي في ١ نيسان ١٩٢٢ لكنه لم يستمر في منصبه سوى أربعة أشهر فقط إن قدم استقالته إلى في ٣ آب قائلا لرئيس الوزراء (إني رأيت منذ عشرة أيام ظهور علائم الوهن في المملكة المتسبب في عدم اتساق العلامات والمؤدي إلى مشاغبة المتطرفين) وما لبثت الوزارة الا أن استقالت برمتها فعهد الملك الى عبد الرحمن النقيب بتشكيلها للمرة الثالثة وتم ذلك في ٢٠ أيلول عام ١٩٢٢ وعهد هذه المرة بوزارة العدلية الى توفيق الخالدي وعندما استقالت هذه الوزارة في ١٦ تشرين الثاني عام ١٩٢٢ لم يتبوأ الخالدي أي منصب وزاري إلى يوم مقتله.

نظرا للعلاقة غير الودية التي كانت تربط توفيق الخالدي بالملك فيصل الاول فقد اشيع في حينه ان الملك اصابه الهلع من الصلة الوثيقة التي كانت تتنامى باضطراد بين توفيق الخالدي وبرسي كوكس فأدلى بمخاوفه إلى جعفر العسكري (رئيس الوزراء) و(نوري السعيد) وزير الدفاع واتفق الثلاثة على وجوب التخلص من الخالدي وتولي نوري السعيد مسؤولية التنفيذ فاتفق مع كل من شاكر القره غولي وعبد الله على اقتراف الجريمة التي تمت مساء يوم ٢٢ شباط ١٩٢٤ وكان لتستر الحكومة على ملابسات الحادث اثر كبير في ترويج مثل هذه الإشاعة وهكذا سجل أول حادث اغتيال سياسي في تاريخ العراق الحديث ضد مجهول وأغلق التحقيق.

نقل يؤدي إلى تمرد

تولى السيد توفيق السويدي رئاسة الوزارة للمرة الثالثة في ٥ شباط عام ١٩٥٠ وقد اسند منصب وزير الداخلية إلى صالح جبر وكان اللواء على خالد الحجازي يشغل منصب مدير الشرطة العام.

جعفر العسكري

وهو ضابط سابق في الجيش العثماني خدم العائلة الهاشمية منذ قدومها الى العراق لاسيما الوصي الامير عبد الاله الذي كان يقدر موقف اللواء الحجازي أثناء حوادث مايس ١٩٤١ ولهذا فقد أصبح مدير الشرطة العام شخصية ذات نفوذ وهيبة يحذره المنتفعون ويخشاه المتملقون للوصي حفاظا على نفوذهم وحرصا على منافعهم.

ومما زاد في اكتساب الحجازي نفوذا ووجاهة ما تتخذه من إجراءات قاسية ورادعة ضد معارضي النظام وتوجيه مفارز الشرطة للفتك بالتظاهرات التي كان يقوم بها الوطنيون لاسيما الطلاب وقد شجعه اطلاعه على مجريات التحقيق الذي كانت تمارسه مديرية الشرطة العامة ضد أصحاب المنشورات السرية إلى إصدار نشرة لاقت رواجا.

يقول رئيس الوزراء توفيق السويدي انه أثناء قيامه بالمنشورات لتشكيل الوزارة تردد اسم صالح جبر لتولي وزارة الداخلية ولما علم الحجازي بذلك صار يحاول بشتى الوسائل للحيلولة دون مجيئه للداخلية، أما ما هي تلك الوسائل التي استخدمها مدير الشرطة العام فان رئيس الوزراء لم يفصح عنها ويظهر أن صالح جبر على علم بمحاولات الحجازي تلك فأسرها في نفسه لحين سنوح الفرصة المناسبة فلما جاءت تلك الفرصة بتشكيل الوزارة واستحواذه على منصب وزير الداخلية وهو المركز الذي يؤهله لان يكون الرئيس المباشر لمدير الشرطة العام عرض على مجلس الوزراء فصل مدير الشرطة العام من الخدمة ويظهر ان اقتراحه لم يلق تجاوبا من زملائه لوزراء بسبب نفوذ الحجازي وصلته بالبلاط الملكي فاكتفلا بنقله إلى متصرفية محافظة السليمانية ولما وصل خبر النقل إلى أسماع مدير الشرطة العام وكان يقضي ليلته في ملهى سليكت انتقل فورا إلى دار احد أصدقائه واخذ يحتسي المزيد من الشراب وهو في حالة تأثير شديد ومما زاد من تأثيره وهيجانه تمريض بعض الأشخاص الذين كانوا متواجدين في دار صديقه، وتأكيده بان سلامة المملكة مقترنة بوجوده على رأس الشرطة العراقية وعند حلول منتصف الليل أتجه نحو الهاتف وطلب رئيس الوزراء توفيق السويدي الذي كان يغط في نوم عميق في داره وقال له إذا لم يخرج صالح جبر من الوزارة غدا فإنني سأقوم بانقلاب..

ثم توجه مباشرة إلى معسكر الشرطة السيارة في الصالحية واخذ يصدر أوامره لجمع قوات الشرطة وتهيئتها للحركة أما رئيس الوزراء فقد اتصل بمقر إقامة الوصي في قصر الرحاب وطلب تبليغه بما يجري ثم اتصل بوزير الداخلية ووزير الدفاع لوضع الجيش في بغداد بالإنذار أما الأمير عبد الإله فقد بعث بمرافقة العقيد عبيد عبد الله المضايفي إلى مقر مدير الشرطة العام في محاولة لثنيه عن عزمه وفي الساعة الثالثة من فجر يوم ١٢ شباط ١٩٥٠ عاد مرافق الوصي إلى القصر مصطحبا معه مدير الشرطة العام اللواء علي خالد الحجازي فاصدر الوصي أمره باحتجازه في إحدى غرف الحرس الملكي وعندما طلب الحجازي مواجهة الوصي امتنع الأخير وأمر باتخاذ الإجراءات القانونية ضده وقد تم تقديمه في ما بعد إلى محكمة الجزاء الكبرى التي أصدرت حكما بسجنه لمدة ثلاث سنوات وبعد تسعة أشهر قضاها الحجازي في السجن استحصل نوري السعيد الذي اصبح رئيسا للوزراء إرادة ملكية بإعفائه عما تبقى من مدة محكوميته.

جريدة البلد
كانون الاول 1965

شـــوارع بـغـداد فـي أوائـــل ظهورها

عباس الزاملي

كانت مشكلة النقل والمواصلات من المشكلات المعقدة في كثير من المدن الكبرى ومنها مدينة بغداد، بفعل حركة السكان وتنقلهم داخل المدينة، الأمر الذي يؤدي إلى حدوث الازدحام والتأخر وصعوبة الوصول بسبب رداءة الطرق وعدم تنظيم شبكة الشوارع بصورة تضمن التوسعات الجديدة في المستقبل.

لقد أدى تحسن المستوى الاقتصادي والاجتماعي الذي حدث في المجتمع البغدادي إلى زيادة عدد السكان وارتفاع مستوى الدخل، فأدى بدوره إلى زيادة ملكية وساط النقل المختلفة، التي أدت إلى الازدحام في شوارع بغداد الضيقة، بسبب حركة العمل اليومي أو الذهاب إلى الدوائر الحكومية والمدارس أو الدوائر الترفيهية، لذلك اهتمت أمانة العاصمة بفتح شوارع جديدة في المدينة لتكون إلى جانب الشوارع القائمة لتخفيف الازدحام.

افتتحت في مدينة بغداد في بداية الثلاثينيات شوارع رئيسة وأخرى فرعية اخترقت المدينة من شمالها إلى جنوبها، فأصبح بالإمكان سير العربات والسيارات في اتجاهين متعاكسين. وكان من أهم تلك الشوارع شارع عبد المحسن السعدون بين الباب الشرقي وموقع نصب الجندي المجهول القديم وقد جرى فتحه بعد إزالة البساتين الكثيفة في تلك المنطقة ومد القسم الثاني منه إلى ساحة الفتح عبر ساحة علي بابا. وكان للشارع مظهران يختلف احدهما عن الآخر، احدهما في النهار ويكون مشغولا بالعمل لوجود المؤسسات الرسمية والتجارية، وثانيهما في الليل ويكون مكاناً للتسلية والترويح حيث تنتشر فيه المقاهي والمطاعم.

وافتتح في عام ١٩٣٤ شارع أبي نؤاس المطل على ضفاف نهر دجلة في جانب الرصافة بطول (٣) كم. ويمتد من الباب الشرقي إلى نهاية الكرادة الشرقية، وله أهمية اقتصادية واجتماعية في آن واحد. عبر عنها السيد عبد الرزاق الحسني قائلا (تراه يعج في الاماسي والاصباح بالغيد الحسان والشبان الاماليد، وترى المقاهي والمتنزهات والمصطبات المكتظة بروادها وقد توسطت الحدائق الزاهية وكلها تطل على دجلة حيث ينساب بأمواجه المتراقصة، وقد طافت فوقه القوارب والطيور المائية وانعكست عليه ظلال الأشجار المورقة فيخال للإنسان أن يطالع كتاب ألف ليلة وليلة أو كأنه يعيش حقيقة ويحيى حياة ألف ليلة بسحرها ولذائذها ومجونها).

وعلى الرغم من فتح تلك الشوارع انفرد شارع الرشيد بأهمية خاصة إذ أصبحت أحياؤه مثل باب الأغا والشورجة تضم الأسواق والبيوت التجارية، وتؤدي دوراً أساساً كمركز رئيس للحياة الاقتصادية والاجتماعية، لذلك دعت الضرورة إلى التوسع في فتح شوارع أخرى لإيجاد منافذ جديدة لتسهيل حركة النقل باتجاه ضواحي المدينة وتخفيف الضغط على شارع الرشيد. فقامت أمانة العاصمة عام ١٩٣٦ بافتتاح شارع الملك غازي. وقد قرر ارشد العمري أمين العاصمة أن يكون الشارع واسعاً من ساحة قنبر علي حتى ساحة الصدرية، أما الجانبان الآخران فيبقيان ضيقين، في حين اصر المهندسون الذين استدعوا لشق الشارع على أن يكون عريضاً وذا ممرين كبيرين من بدايته حتى نهايته لكي يتناسب و تطور المدينة وقد تمسك أمين العاصمة برأيه قائلاً: "إن أهالي بغداد صاروا طماعين يريدون أن يقبضوا عن عقاراتهم المستهلكة مبالغ تصل إلى مئة ألف دينار لكل طرف من الشارع، وهو مبلغ باهض لست مستعداً لأدائه" وقد دفع تشدد أمين العاصمة واعتداده برأيه المهندسين الى تقديم استقالتهم احتجاجاً على ذلك. لكنه لم يتراجع عن رأيه، فتم فتحه حسب المواصفات التي أرادها بفعل تصميمه وعناده.

وبعد إقامة الجسرين الحديديين (المأمون، وفيصل) على نهر دجلة وافتتاحهما عام ١٩٣٩- ١٩٤٠، قامت أمانة العاصمة بفتح شارعين في الكرخ يمتدان من مطلع الجسرين المذكورين الى خارج المدينة، يسمى احدهما شارع الملك فيصل، وكان من أوسع شوارع العاصمة وأجملها في ذلك الوقت، وهو أول شارع افتتح بممرين، احدهما للذهاب والآخر للإياب ويتوسطهما رصيف زرع بأشجار النخيل وأنواع مختلف من زهور الزينة، أما الثاني فهو يمتد من مطلع جسر المأمون (الشهداء حالياً) إلى مسافة قصيرة، وعرف بشارع الأمير عبد الإله.

لم تكن الشوارع المنوه بها كافية لتسهيل حركة النقل داخل المدينة، لذلك سعت أمانة العاصمة إلى فتح شوارع متعددة في مناطق مختلفة منها شارع الأمين العرضاني وشارع المصارف. وقامت بتبليط شارع الميكانيك مقابل جامع السيد سلطان علي وشارع باب الشيخ عمر الذي اجتمع فيه أصحاب الصنائع والحرف فتحول إلى منطقة صناعية مهمة لتصليح السيارات. كما افتتحت شوارع أخرى في الأعظمية والكاظمية للتخلص من الازدحام في المناسبات الدينية والاجتماعية. ويبدو لنا أن ضعف تخطيط الحكومة وعدم وجود دراسات دقيقة ومتأنية من قبل خبراء ومهندسين عراقيين تأخذ بنظر الاعتبار توسعات المدينة الجديدة وحاجتها للشوارع الواسعة، فضلاً عن كثرة التبادلات في أمانة العاصمة، وإشغالها من أشخاص غير مهتمين بطبيعة أعمالها كان وراء التأخر في افتتاح الشوارع الضرورية للعاصمة فأصبح انجاز تلك الأعمال مقروناً بشخص الأمين الذي يتولى أمانة العاصمة ومدى استعانته بالخبراء الأجانب وحسب التخصيصات المالية لأمانة العاصمة.

ومن الجدير بالذكر أن توسع المدينة قد أدى إلى ظهور شوارع جديدة، تميزت بالاستقامة والاتساع لاستيعاب وسائط النقل، التي أصبحت في تزايد مستمر، وقد حافظت تلك الشوارع، على اتجاهها التقليدي الموازي لنهر دجلة عدا استثناءات قليلة. وكان من ابرز الشوارع التي ظهرت في نهاية الحرب العالمية الثانية، شوارع بغداد الجديدة، وهي أربعة شوارع رئيسية متوازية، طول الواحد منها ثلاثة كيلو مترات، وعرض كل منها (٥٠) متراً، تتقاطع مع هذه الشوارع طرق فرعية، تقسم المربعات الناتجة عن تقاطعها بصورة هندسية تجعل كل وحدة من وحداته منطقة سكنية تقع على طرفين اثنين.

استمرت أمانة العاصمة في الأربعينيات برفد المدينة بخدماتها الضرورية، وسعت إلى إعادة تبليط الطرق القديمة وإنشاء الأرصفة لتحديد استقامة الشوارع ومنعت الأهالي من التجاوز على تلك الأرصفة للحيلولة دون التأثير على سير الحركة في الشوارع.

وفي الخمسينيات نفذت أمانة العاصمة عدداً من المشاريع المتعلقة بتنظيم وتبليط وفتح الشوارع التي تركت آثارها الواضحة في مدينة بغداد، وكان من ابرز انجازات أمانة العاصمة قيامها بفتح شارع عريض يخترق بغداد من باب المعظم حتى الباب الشرقي (بين شارعي الرشيد وغازي) سمي بشارع الملكة عالية (الجمهورية حالياً) لكي يكون بمثابة رئة للمدينة المزدحمة بالسكان لتخفيف أزمة المرور فيها بعد أن عجز شارعا الرشيد والملك غازي عن تخفيفها.

ويذكر فخر الفخري أمين العاصمة في عام ١٩٥٤ بأنه كان وراء انجاز شارع الملكة عالية وبحكم منصبه هو الذي قرر أن يكون عرضه (٤٠) متراً ومدخله في الباب الشرقي (٥٠) متراً وأستملك العقارات الواقعة على الجانبين بعمق (٢٠) متراً وقدر تكاليفه بـ(٨) ملايين دينار،وبذل جهداً كبيراً في إخراجه وتغلب على المعارضة التي جوبه بها من العلماء ورجال الدين والمستفيدين بفعل استخدامه للحكمة والسخاء والانصاف باعطاء اصحاب العقارات ١٠٪ اكثر مما تستحقه عقاراتهم المتداعية، الامر الذي جعلهم يطلبون الاستعجال باستملاك عقاراتهم، وقد تمكنت أمانة العاصمة بعد الاقتراض من مجلس الإعمار وبيعها للمساحات الزائدة عن الشارع (الفضلات) من سد تكاليف شق الشارع وتم افتتاحه من قبل الملك فيصل الثاني في يوم الأربعاء الموافق ٢ تشرين الأول من عام ١٩٥٧.

وقد ترافق مع افتتاح شارع الملكة عالية افتتاح شارع القبلة في الكاظمية أمام باب القبلة في الصحن الشريف حيث مرقد الإمامين الجوادين موسى الكاظم ومحمد الجواد (عليهما السلام) بعد إزالة الأبنية القديمة المتداعية والأزقة الضيقة التي تحيط بالصحن الشريف، إذ أنها لا تتناسب وقدسية المراقد الطاهرة مما كان له ابلغ الأثر في تسهيل حركة مرور الوفود القادمة لأجل الزيارة والتبرك.

الجسور في مدينة بغداد

حازت الجسور أهمية كبيرة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية لمدينة بغداد لانشطارها الى نصفين غير متماثلين، فساهمت في الربط بين نصفيها، وحددت مواقعها تجاه الشوارع في المدينة.

ومن الجدير بالذكر ان مدينة بغداد كانت قد عانت من مشكلات معقدة، لعدم وجود جسور ثابتة كافية فيها تربط بين نصفيها، اذ لم يوجد فيها سوى جسرين، اولهما جسر مود،

وثانيهما الجسر العتيق (جسر المأمون). وفي سنة ١٩٢٤ أنشئ جسر الأعظمية الخشبي الذي شيد على جنائب كبيرة لا تستطيع مقاومة تيارات مياه نهر دجلة إلا بعد وضع أكياس مملوءة بالرمل على الجانب الآخر لمنع غطسها وغرقها وتنظم طريقة عبور الأشخاص والعربات بوساطة شرطيين يقف كل واحد منهما في جانب ويستعملان (الصافرة والعلم الأبيض للمرور والأحمر للتوقف).

كانت الجسور تعطى بالإلتزام السنوي لمتعهد يدفع للدولة مبلغاً محدداً، لذلك يقوم بأخذ أجرة واحدة ذهاباً وإياباً عن (الاشخاص والدواب) التي تعبر الجسر، ويدفع أصحاب السيارات والعربات أجرتين اي نصف قران في كل مرة، وتمنع سيارات الحمل من العبور او تضطر الى تفريغ الحمولة في منتصف الجسر.

كانت ادارة الجسور بيد الخبراء والمستشارين البريطانيين المعينين لدى الدوائر المختصة، اذ كانوا يشرفون على ادارة الجسرين (العتيق، ومود) ومن هؤلاء الخبير (سرجنت) وفي بداية الثلاثينيات تم الاستغناء عنهم لان (الجسّارة العراقيين تدربوا على العمل وأتقنوه).

لم تستطع الجسور الخشبية القائمة على الجنائب تأدية المهام التي أنشأت من اجلها، إذ أنها تكون عرضة لفيضانات دجلة المتكررة، فيدفع تيار المياه دوب الجسور ذات المقدم العريض للغطس بقوة التيار، الأمر الذي يستوجب على عمال الجسور إيجاد حالة من التوازن عن طريق وضع أكياس من الرمل على الجانب الآخر، وتمنع وسائط النقل الأخرى من العبور ويقتصر على الاشخاص فقط، وعند انخفاض مستوى المياه في النهر (الصيهود) ترتفع مقدمات الجسور على الجانبين الأمر الذي يجعل عملية الصعود تواجه مشقة كبيرة عندما تتوقف حيوانات النقل وتتدافع فيما بينها فضلاً عن ذلك لم تكن أرضية تلك الجسور مثبتة بشكل تام على الجنائب فعندما تعبر الدواب المختلفة تحدث قرقعة الخشب الأمر الذي يزيد من ارتباك تلك الدواب.

كان للتطور الكبير الذي شهدته المملكة العراقية في مختلف مجالات الحياة بعد عام ١٩٣٢ اثر كبير في الاهتمام بزيادة وسائط النقل وتعبيد طرق المواصلات وتشييد الجسور الثابتة، فاهتمت الوزارة الهاشمية الثانية (١٧ آذار ١٩٣٥- ٢٩ تشرين الأول ١٩٣٦) بإنشاء جسرين حديديين ثابتين في العاصمة، وتعاقدت مع شركة (هولواي أخوان الانكليزية المحدودة) لتشييد الجسرين ونصت المقاولة على أن تدفع الحكومة العراقية مبلغاً قدره (٤٠٠٠٠٠) دينار عراقي نقداً للحكومة البريطانية لإنشاء الجسرين.

بدأ العمل في الجسرين سنة ١٩٣٧، وصرف حوالي (٥٠٠) طن من الفولاذ وبلغ ما صنع من الكونكريت (٣٠٤) متر مكعب، عرف الجسر الأول بجسر المأمون. في موقع الجسر القديم الذي يربط الكرخ بالرصافة طوله سبعمئة قدم وعرضه خمسين قدماً افتتح في ١٥ تموز ١٩٣٩ كان يستعمل للعربات والسيارات والمارة في آن واحد.

اما الجسر الثاني فكان يعرف بجسر الملك فيصل الأول (في موقع جسر مود) تم انجازه عام ١٩٤٠ بطول (٣٠٣) متر وعرض (١٥) متر مع الأرصفة وكانت دعامته تزيد على الجسر الأول بدعامتين مصبوبة كلها بالخرسانة وبلغت تكاليف إنشائه (٢٠٨) آلاف دينار. الجسران كانا على إتقان وضبط كبيرين إذ أنجز العمل فيهما حسب المواصفات المتفق عليها وبالوقت المحدد.

قامت الحكومة العراقية بتسلم الجسر بعد فحصه من قبل الشركة المذكورة التي أجرت عليه عملية الفحص بإمرار مكائن ثقيلة تتكون من (١٨) سيارة لوري و(٦) محادل، و(١٥٠٠) جندي. لمراقبة انحناء الجسر الذي كانت طاقة تحمله (٢٦٠) طنا حسب الاتفاقية، واشرف المهندسين على ذلك لمدة ساعة فكانت النتيجة مرضية.

افتتح الوصي عبد الإله جسر الملك فيصل الأول في ١٥ آذار ١٩٤٠ وكان يصحب هامين زكي وزير المواصلات والإشغال وعددا من الوزراء فضلاً عن بعض النواب والأعيان وكبار موظفي الدولة من مدنيين وعسكريين وقد ألقى احمد شوقي الحسيني مدير الأشغال العامة خطبة الافتتاح وسط حشد كبير من سكان بغداد الذين اصطفوا على جانبي شارع الرشيد.

وفي عام ١٩٥٠ تم نصب جسر الصرافية الحديدي (جسر القطار) الذي يتكون من ممرين احدهما للسيارات والآخر لعبور القطارات، كانت الحكومة العراقية قد اشترته كاملاً من حكومة الهند بمبلغ (اقل من مليوني دينار عراقي). بوساطة شركة كودفوغان لي فرانك وكويدز البريطانية التي قامت بنقله ونفذت شركة هولواي اخوان عملية نصبه.

كان لجسر الصرافية أهمية كبيرة تتمثل في إمكانية تسيير القطارات بين بغداد وبصرة وأربيل. ويمثل أضخم وأطول جسر في العهد الملكي يمتد لمسافات طويلة استمر العمل بإنشاء قواعده ودعاماته لمدة سنتين متتاليتين وهو أول جسر للاستعمال المزدوج (السيارات والقطارات). فصلاً عن السابلة افتتحه الوصي في ٢٠ تشرين الأول ١٩٥٠.

وبعد تنوع وسائط النقل وازدياد أعدادها في الخمسينيات ظهرت الحاجة إلى إنشاء جسور أخرى بهدف تخفيف حالات الازدحام على الجسور القائمة في بعض جهات المدينة. فشرع بإنشاء جسر الملكة عالية في

قامت أمانة العاصمة عام 1945 بتشجير بعض الساحات الرئيسة والمتنزهات ومنها حديقة النعمان والسفينة في الأعظمية وبعض الأماكن في شارع الرشيد وشارع الإمام الأعظم وساحة زبيدة وساحة السويدي (جسر الشهداء حالياً). شجعت أمانة العاصمة أصحاب البساتين على العناية بها وتحويلها إلى مشاتل. فانتشرت المشاتل في بعض جهات المدينة في نهاية الأربعينيات، وقاموا بزراعة وبيع الشجيرات والأزهار. ولم تغفل أهمية تنظيم الحدائق والساحات والمتنزهات عند دراستها لتخطيطات المدينة قبل وضع التصاميم الأساسية لها، وعملت على إحاطة المدينة بالحزام الأخضر ومنعت في عام 1956 فرز الأراضي الزراعية التي تقع ضمن حدود ذلك الحزام التي تقل مساحتها عن (2500) متر مربع.

تشرين الثاني ١٩٥٣ الذي يقع في منطقة الباب الشرقي ويصل جانب الكرخ بالرصافة بلغ طوله (٤٥٤) متراً وعرضه أكثر من (١٨) متراً وكلفة إنشائه مليون وستمئة ألف دينار وهو يقوم على عشر دعائم من السمنت المسلح تتخللها تسع فتحات.

افتتح الملك فيصل الثاني جسر الملكة عالية عام ١٩٥٦ وقام ولي العهد عبد الإله بالنزول على سطح هذا الجسر بطائرته الهليكوبتر وكانت أول طائرة تحط على جسر في بغداد.

ونظراً لتكرار حدوث سقوط الأشخاص والسيارات من جسر الأعظمية فضلاً عن عدم قدرته على استيعاب حركة المرور الكبيرة والازدحام الدائم عليه لزيارة المراقد المقدسة في الكاظمية وانقطاعه لمدة نصف ساعة يومياً من الساعة (١١-١١،٣٠) لغرض عبور السفن التي ترسو على الشاطئ حتى تتمكن من الانحدار إلى بغداد.

دعت الحاجة إلى أنشاء جسر ثابت بين الأعظمية والكاظمية بعد تذمر الأهالي من ذلك ومراجعتهم للجهات المختصة، لعدم محاسبة المسؤولين عن تسرب الأموال المخصصة لإقامة جسور جديدة أو إصلاح القديمة منها، ولم تتخذ إجراءات حكومية سريعة لمعالجة ضعف الجسر.

لذلك تكررت الحوادث شهرياً الأمر الذي دعا الحكومة إلى اتخاذ خطوات جدية لحسم هذه المشكلة وقامت الجهات الفنية بالتعاقد مع شركتي (سمنسن وكتانه) لإنشاء جسر الأعظمية وتم الاتفاق على إنشائه بمبلغ مليون وثلاثمائة دينار وهو يقوم على ثمان دعائم من السمنت المسلح تتخللها سبع فتحات يبلغ طوله (٣١٧) متراً، وعرضه (١٥) متراً، ويتسع لمرور ثلاث سيارات في وقت واحد، وقد عرف بجسر الأئمة وأنجز بناؤه عام ١٩٥٧.

نخلص مما تقدم أن الجسور وان وجدت لإغراض اقتصادية لكنها لا تخلو من الأغراض الاجتماعية لربط المدينة بأجزائها المختلفة مما يساعد على وجود حالة من الانسجام بين المدينة وأطرافها وتلبية المتطلبات الأساس لحياة المواطن البغدادي.

ساحات بغداد القديمة.. ذكريات وحقائق

عباس الزاملي

قامت الحكومات العراقية خلال مراحل التطور العمراني الواضح الذي شهدته بغداد بين عايم (١٩٣٩-١٩٥٨) بإنشاء الجسور وشق الشوارع وتوفير وسائط النقل الحديثة والمتنوعة الأمر الذي دعا إلى استحداث عدد كبير من ساحات الاستدارة الدائرية لتنظيم حركة مرور وسائط النقل في المدينة. بهدف ربط الشوارع بعضها ببعض وتخفيف الازدحام على بعض الجسور.

وقرر مجلس أمانة العاصمة في جلسته المنعقدة بتاريخ ١٨ تشرين الثاني ١٩٤٠ تسمية عدد من الساحات وكان من أهمها:

١- الساحة التي ينتهي فيها شارع السعدون الواقعة قرب نادي العلوية بساحة الفردوس.

٢- الساحة التي ينتهي فيها شارع خالد بن الوليد بساحة الفتح.

٣- الساحة المطلة عليها بناية المركز العام لجمعية الطيران التي يبدأ منها شارع الملك غازي بساحة الطيران.

٤- الساحة الشمالية في شارع الملك غازي بساحة الفضل.

٥- الساحة الواقعة أمام مدرسة الحقوق بساحة الحقوق.

٦- الساحة الواقعة أمام البلاط الملكي بساحة التاج، كذلك تطوير الساحات القائمة آنذاك مثل ساحة النهضة وساحة السعدون.

واهتمت أمانة العاصمة في الأربعينيات بتنظيم الساحات والحدائق العامة، وقامت بتشجيرها وغرسها بالزهور وتحويلها إلى أماكن ترفيهية مجانية يرتادها سكان بغداد، بعد أن وفرت مستلزمات الراحة فيها. فأصبحت بمثابة (الرئات التي يتنفس من خلالها المواطنون) لكونها أماكن هادئة بعيدة عن الضوضاء كما أنها أكسبت المدينة مظاهر جمالية. وكانت من هذه الحدائق حديقة الوصي عبد الإله عند مدخل شارع الكفاح مقابل سينما الفردوس وكانت مركز نزهة وترفيه جذبت الأهالي في بغداد إليها، إذ كان سكان بغداد بأمس الحاجة إليها للترفيه عن أنفسهم وذلك لان الإنسان ككائن اجتماعي تؤثر فيه نواحي الحياة المختلفة بعد بذل جهد عضلي وفكري فتظهر لديه حاجة ملحة إلى اللهو كما هو بحاجة إلى الأكل والشرب والملبس.وقامت أمانة العاصمة بتنويع وسائل التسلية واعتنت في تطويرها وأنشأت عدداً من الحدائق وإعادة تنظيم وتجميل. حديقة الملك غازي في الباب الشرقي (التي تم افتتاحها في نهاية الثلاثينيات)، ووضعت فيها مقاعد للجلوس عليها وزودتها بوسائل التسلية البريئة في بداية الأربعينيات، فاخذ السكان يتوافدون إليها للنزهة وهم يحملون مستلزمات سفرهم ونزهتهم ولاسيما الأطعمة وسماورات الشاي. وكانت مثار إعجابهم اذ تميزت بنافوراتها وأشجارها المزروعة على شكل مدرجات تشبه الجنائن المعلقة. فهي مزيج من الحديقة الجبلية والمائية والبسيطة مساحتها (٥٠) ألف متر مربع وفيها أحواض رخامية وكانت أمانة العاصمة تزرعها سنوياً بمختلف الزهور الموسمية واستعملت في سياجها الخارجي أشجار الكالبتوس والحمضيات ثم أقامت فيها النافورات على شكل شذروان.

وسعت أمانة العاصمة إلى إقامة المتنزهات والحدائق في بغداد. بعد أن فقد البغداديون أجمل متنزهاتهم في جانب الكرخ اثر إنشاء جسر الملك فيصل ونقل الجسر الخشبي عام ١٩٤٠، انتشر سكان الكرخ في متنزهات بغداد القليلة فقد اهتمت بإنشاء متنزه ياسين الهاشمي الذي عرف بمتنزه الهاشمي. بعد أن صدرت لائحة قانونية سمحت للأمانة بامتلاك عرصتين لإقامة المتنزه بمساحة (٦) دونمات، فقامت الأمانة بتجفيف المستنقعات الموجودة في محلات (البوشبل والخالدية) وحولتها إلى متنزهاً وجعلته مباحاً بدون أجر.

وقامت أمانة العاصمة عام ١٩٤٥ بتشجير بعض الساحات الرئيسة والمتنزهات ومنها حديقة النعمان والسفينة في الأعظمية وبعض الأماكن في شارع الرشيد وشارع الإمام الأعظم وساحة زبيدة وساحة السويدي (جسر الشهداء حالياً).

شجعت أمانة العاصمة أصحاب البساتين على العناية بها وتحويلها إلى مشاتل. فانتشرت المشاتل في بعض جهات المدينة في نهاية الأربعينيات، وقاموا بزراعة وبيع الشجيرات والأزهار. ولم تغفل أهمية تنظيم الحدائق والساحات والمتنزهات عند دراستها لتخطيطات المدينة قبل وضع التصاميم الأساسية لها، وعملت على إحاطة المدينة بالحزام الأخضر ومنعت في عام ١٩٥٦ فرز الأراضي الزراعية التي تقع ضمن حدود ذلك الحزام التي تقل مساحتها عن (٢٥٠٠) متر مربع.

وفي عام ١٩٥٧ ظهرت فكرة إنشاء حديقة للحيوانات في بغداد فاتخذت المنطقة المجاورة لسكك الحديد في منطقة العلاوي الحلة كنواة لحديقة الحيوانات، وضمت هذه الحديقة الصغيرة بعض أنواع الغزلان والطيور المتنوعة عراقية وغير عراقية وبعض أنواع (الضباع، والثعالب، والذئاب، والنمور) ومعظم الحيوانات جلبت على شكل هدايا من أشخاص كانوا يحتفظون بها في بيوتهم وحدائقهم وحصلوا عليها عن طريق الصيد أو الشراء.

يتضح لنا مما تقدم أن أمانة العاصمة قد قامت بجهد كبير في تنظيم المدينة وتطويرها وتنويع الخدمات العامة فيها بشكل يتلاءم مع التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدها المجتمع البغدادي خلال الحقبة الدراسية، لكن جهودها المشار إليها لم تكن منتظمة وبالمستوى نفسه من التقدم بين حكومة وأخرى.

السيدة سمحة

وطـرائـف أهـل بـغـداد قـبـل سـبـعـة عقود

مازن لطيف

كانت محلة الشيخ صندل وهي من محلات الجانب الغربي في بغداد يتمثل في أهلها التسامح والانفتاح وحب الضيف وإكرام الغريب وكان يتردد على سوقها المعروف بـ (سوق الحنطة) أو سوق الشيخ صندل البدو أو العربان واليهود والنصارى وأكراد الشمال وأبناء الجنوب وهم يجدون في رحاب أهلها المحبة والكرم والإحساس بالخلق والتآخي في الإنسانية والشراكة في الوطن . وكانت الأسر تستقبل في بيوتها الزط أو الغجريات من القوم المعروفين في العراق بأسم "الكاولية" وهن يقرأن الطالع ويسبرن البخت والغيب وتجد نساء حولهن مصغيات مقتنعات بأقوالهن ، ويستقبل الحي كذلك فئة من جوابي الآفاق المعروفين بـ(الصلبة)وهم يتعاطون العطارة وبيع الأعشاب البرية والنباتات الطبية وربما حل بالمحلة بعض الحواة ممن يدخر نماذج من الأفاعي وكذا المتفننين كعازف الربابة ونفر من المكديين و المتسولين والدراويش وأهل السبيل وغيرهم.

وكانت هناك طائفة من اليهود الشباب يحملون أطوال القماش على أكتافهم ومعهم "الذرعة" أو المعيار الذي يقاس به القماش .وكان من وجوههم المعروفة الشابين المهذبين صالح وإبراهيم، وعادة ما يعرضا بضاعتهما على نساء المحلة بأسعار زهيدة للغاية وقد يجري البيع بالنسبة أو الأقساط ولاسيما عند قرب مواسم الأعياد. وأتذكر من أنواع تلك الأقمشة في ذلك الزمن ما كان يعرف بـ(روح الأفندي) و(روح الجمال) و(صدر الحمام) و (الكرشة)و(التفتة) والصنف الذي وددت أن اعرض له في هذه السطور هو صنف بائعات (الخطاط) تلك المواد التي تتزين بها النساء من قبل: الحمرة والديرم والكحل والقلابي وأقراص الوجه وأقلام الشفايف وغيرها كثير. وكان الكثير من البيوت التي اعتادت هذه الجمهرة من النسوة التردد عليه وهن يعرضن ما يحملن من مواد التجميل أو طعام الغداء لكي لا يكلفن أهل تلك البيوت شيئا ما اللهم إلا الشاي والماء البارد فإذا تناهى خبر مجيئهن إلى نساء الزقاق "الطرف"، بدأت وفودهن تتردد على أي بيت يحللن فيه .

ومن هؤلاء النسوة أم إبراهيم وأم داود وكانت الأخيرة تحب الصغار حبا جما وتعمل لهم فطائر (لفات) من الكباب الذي تحمله غداءً لها .بيد أن الشهرة كل الشهرة كانت تحوم حول السيدة(سمحة) وهي سيدة من محلة (الطاطران) منحها الله حساً بغدادياً في الذوق والظرف وسرعة البديهية وارتجال الجواب وكانت محترمة على كثرة مداعباتها وفكاهاتها ورقة شمائلها.

ومن طرف(الزيبق) كانت تلم بدار المرحوم (حسون فاضل) المستأجر المزمن لمقهى الشيخ البيروتي في رأس الجسر، حيث هناك وليمة غداء دعي إليها الإمام الجديد لجامع الشيخ صندل (الشيخ جلال الحنفي) رحمه الله وذلك في سنة ١٩٤٢ حينما كان شابا، وحضرت من القائم على أمر الجامع الملا عبد سلطان العبدلي، حيث جالست سمحة ربة البيت المرحومة سبتة وحينها علت أصوات النسوة، حيث كانت أجرائهن في الكلام المرحومة فاطمة البنت الوسطى للمؤذن القديم المرحوم عبد الحميد علي الطلعة، وهي من أكثر الناس التصاقا وشغفا بسمحة وأكثرهم حفظا لأخبار هذه السيدة اليهودية البغدادية الظريفة. وظلت تردد فكاهاتها وطرائفها وتتحسر على تلك الأيام . حيث أن سمحة إذا حضرت بعد غياب أحضرت معها قدرا من التبيت، تلك الأكلة المعروفة لدى يهود بغداد وجمعت جمعا من نساء المحلة وراحن يؤكلهن وهي تطارحهن الطرائف والقفشات البغدادية حتى حلول وقت ما قبل غروب الشمس.

سمحة اليهودية رحمها الله تركت أشياءً كثيرة من حافظة المرحومات سبت خالة أولاد المرحوم حسون فاضل صاحب المقهى البيروتي الشهير ومن المرحومة فاطمة أم عبد الرحيم لشدة تعلق أمه باليهوديات المترددات على المحلة، حيث ماتت سبتة في سنة ١٩٥٩ وماتت فاطمة سنة ١٩٩٩ رحمهما الله جميعا وعطر مثواهم.

من طرائف سمحة

من طرائف سمحة سمعت أن الشقي المعروف ابن هرة كان يشكو إلى جارته انه كلما جاء إلى البيت ولم يجد أمه فيه .. فعلقت سمحة معقبة على شكواه من سليقتها: طبعا هي هرة وهذا شهر شباط، أي فترة التزاوج وترك المكان.

وقدمت لها إحدى صويحباتها كبة كانت من نوع رديء وراحت تسألها بنت السبت اشلون الكبة ؟ وترد عليها بأنها طيبة لذيذة ثم تعود إلى السؤال وسمحة تعيد الجواب حتى يتملكها الضجر فلما عادت تسائلها كيف وجدت الكبة؟ أجابت تريدين الجواب الصحيح سبع عضات وما وصلت للحشوة.

ذهب شعّار(أي راقص ومهرج في الأعراس) إلى طبيب الأذن لضعف في سمعه فقال له الطبيب إن الطبلة مشروخة فقالت سمحة احمد ربك الطبلة ولا الدنبك (الدربكة).

إحدى القبيحات شكت إليها أن الصنوع (المكياج) الذي اشترته منها لتزيين وجهها سرعان ما يسيل ويختلط ويشوه شكلها فردت عليها لازم أبو الجهال "ميتفل" (لايبصق) إلا على الصنوع.

وقالت إحداهن أن بيتنا هذا والحمد لله بناه أبو الولد باليمن فردت عليها لبش اليسرة مكطومة؟

وسمعت أن احد البخلاء اشترى قطعة ارض في المقبرة لتكون مدفنا له ولأفراد عائلته وقد خصص ربع المتر لكل فرد فقالت لازم الجماعة يدفنون شجخ(عموديا) ولعلها قالت يدفنون وكافي(واقفين)؟

وراحت إحدى العوانس تنظر في المرآة وبيدها قلم الفحم تحاول إخفاء الشيب من شعرها فضحكت سمحة وقالت تريدين ترجعين بنت العشرين بجرة قلم؟

وقالوا إن شقيا عاشقا من بيت أبو الخرفان انتحر بسبب زواج معشوقته فقالت لازم المعشوقة نعجة؟

ولما مات المرحوم شمسي الموظف في صحة الطلاب كان بدينا شاهدته إحدى جاراته في المنام وهو يتخايل في مشيته على الصراط المستقيم ثم يهوى إلى القصر، قالت سمحة طبعا يسقط إذا هو الصراط المستقيم احد من السيف وانعم من الشعرة ؟ .وسمعت يوما إحدى العدادات تنوح وتندب وتقول امنين أجيب الضيعوني ؟ فردت عليها عود تتلاكون على الصراط المستقيم.

وقالت لها احداهن عيني سمحة الكحل إلي اخذتة البارحة ميثبت على عيني فردت عليها العين الشرحة ميفيدهة كحل؟

مرت باحدى العرضحالجية فسمعته سال المراجع ماذا أقول عن دعواك فردت وهي ماشية اكتب أنها دعوة بطلية؟

سمعت أن فلانا مات وترك أربع نسوة ولم يترك لهن شيئا فقالت يتقاسمون الجفن والتابوت؟

وسمعت أحداهن تقول وقد حملوا جنازة زوجها وين تروحون بابو حياوي فقره وظلام وبرد..فقالت مثل بغداد بطبت الانكليز؟ وشاهدت رجلا نحيلا يسير مع زوجته وهي بدينة ومفرطة في البدانة فعلقت على هذا المشهد قائلة :

مو عجيب بلم ودوبة ثم استغرقت قائلة لو كان هو الدوبة وهي البلم اشراح يصير ؟

سمعت أن أناسا من معارفها كان عندهم حفل، يحضره عالزوري العازف القديم الموهوب وهو يعزف أشجى الانغام فسألها احدهم سمحة يوم القيامة وين ايكون عزوري فأجابت يم أبو القاسم الطمبوري ؟

وكانت في محلة الشيخ صندل سيدتان اشتهر أمرهما بالنكتة البارعة والجواب المرتجل اللحظي، احدهما المرحومة حسنة بنت علي الطلعة أخت المؤذن عبد الحميد الذي ذكر هذا الكلام وهي أم المؤذن الشيخ عبد الفتاح معروف ولها مع سيد ذيب الشخصية الشعبية البغدادية الظريفة مواقف لا تنسى والأخرى هي المرحومة ميثة ام محمد من بيت الفلاحي من الحجاز وهذه الخيرة عرفت بطرائفها في الأدب المكشوف لا تتورع ولا تترد في التعليق والجواب المسكت وان حضرت احد هاتين السيدتين مجلسا من مجالس العزاء الذي يقام على الموتى فمعنى ذلك ان المجلس ينقلب الى ضحك وصخب ودعابات حتى تصبح العدادة..قوموا روحوا.. كافي انكسر العزا؟

وكانت هاتان السيدتان ممن تعرف على سمحة وقامت بينهن علاقة الود والوفاء وحسن الصلة إلى ان فرق بينهن مفرق الجماعات .

إن تلك النسوة التي كن يحملن بضاعتهن في أكياس القماش ويجوبن طائفات على البيوت يعرضن ما يحملنه سبداج وحمرة وقلاية ، كن نساء مكافحات كادحات جديرات بالاحترام و مثلا في الصفة وصدق المعاملات وكن بغداديات احببن بغداد واهلها وصارت محلات سكناهن جزءا من حياتهن سواء عشن في بني سعيد او ابو دودو او قمبر علي او الطاطران وكانت تلك الايام ايام رخاء وإخاء وكان الجار مؤتمنا على جاره لا فرق بين طائفة وأخرى ولا استعلاء لقومية على غيرها فهل إلى ذلك الزمان من معاد ؟

صفحات بغدادية:

الشقاوة أيام زمان

هل هي شهامة ونخوة، أم لصوصية واعتداء..؟

جواد الرميثي

كانت للأشقياء في بغداد طريقتهم الخاصة في الملبس تميزهم عن غيرهم من عامة الناس فالجراوية على الكتف أو على الرأس وهي ملفوفة كيفما اتفق من دون عناية، وكذلك لبس (الكيوة) البيضاء بالرجل واللباس الأبيض الطويل الذي يصل إلى نهاية الكاحل، مع لبس (عرقجين) ابيض مدبب إلى الأعلى، وطبعا مع سكين (أم الياء) في جيب (الشقاوة) والتبختر في المشية وإبراز صدره إلى الأمام، في حين يرتدي هؤلاء الأشقياء شتاءً لباس الدميري الطويل.

وظهر في بغداد أيام ثورة العشرين أشقياء اشتهروا بالشهامة والنخوة ومساعدة الضعيف وخصوصا في محلة (السيد عبد الله) والمحلات المجاورة لها وكذلك بين الثوار، واشتهر منهم المرحوم عبد المجيد كنه (عم الوزير والسياسي المعروف خليل كنه) الذي عرف بمقاومته للانكليز مقاومة عنيفة وقتله العديد منهم، والذي دعا إلى الثورة ومقاومة الاحتلال، وقام بتوزيع النشرات الداعية لذلك وقد تمكن الانكليز من إلقاء القبض عليه ومحاكمته وإعدامه، حيث دفن في مقبرة الشيخ جنيد في كرخ بغداد ولا يزال ضريحه قائما إلى الآن.

وما دمنا نتحدث عن الأشقياء في بغداد من أصحاب النخوة والشهامة فلابد من أن نذكر المصارع الوسيم (موسى أبو طبرة) الذي كان يسير وراءه حشد من التواقين إلى المراجل والشجاعة والشهرة، ويكفيهم أن يقال عنهم انهم من جماعة موسى طبرة ،وكانت حدود محلة الفضل الى باب الشيخ في رصافة بغداد مناطق نفوذه ...!!

كان (ابو طبرة) مولعا بسباق الخيل (الريسز) فقد قتل على يد احد الأشقياء المحترفين في سباق الخيل يدعى (جواد الأجلك) اثر خلاف بينه وبين احمد الشنان احد الهواة من الأشقياء المحترفين (وهو أمر عادي بين أصحاب الخيول) عندما كانا يحتسيان الخمرة في احدى بارات محلة المربعة، حيث طعنه جواد بالسكين في رقبته فارداه قتيلا، وجواد الاجلك هو من أشقياء الكرخ وقد حكم عليه بالسجن ولكن كردة فعل على مقتل (أبو طبرة) الذي هو من عائلة معروفة ومحترمة قام الشقي المشهور والقاتل المحترف (حجي شاكر) وبمساعدة من شريكه الشقي (عزيز الاقهم) بمهاجمة احمد الشنان عندما كان يتواجد في الإسطبل الذي يمتلكه في محلة باب الشيخ بقتله رميا بالرصاص وقد القي القبض على حجي شاكر بينما استسلم عزيز الاقهم، بعد أن نفذ عتاده، وقد حكم عليهما بالإعدام شنقا ونفذ الحكم في ساحة ال□يلاني، وحضر عملية الإعدام الآلاف من أهالي بغداد حيث صعد الحجي شاكر متباهيا إلى حبل المشنقة، بينما خارت قوى عزيز الأقهم ورفعه السجانون وشنقوه (ميتا)، كما اعتقد الناس الحاضرون في الساحة..!! اما جواد الاجلك قاتل موسى ابو طبرة فقد اطلق عليه صبي اربع عيارات نارية (بعد خروجه من السجن لانتهاء مدة محكوميته) عندما غادر هذا الشقي المقهى الذي كان جالسا فيه.

ومن الأشقياء القتلة وناكري الجميل في بغداد المدعو (عبد الأمير العجمي) في جانب الكرخ الذي كان يلوذ بحماية (مظهر بك الشاوي) كما يشاع بين عامة الناس، والذي وصل به الأمر والجرأة على حاميه وسيده الشاوي وحاول أن يغتاله، لولا يقظة حمايته من الشرطة، وقد قتل عبد الأمير العجمي من قبل مجهول على بعد خطوات من باب بيت مظهر بك الشاوي خلف جامع حنان في الكرخ قرب ساحة الشهداء..!!

ومن الأشقياء في جانب الكرخ محلة الشيخ بشار القاتل المحترف (عبد الأمير الأسود) الذي اختفى فجأة ولم يعثر عليه احد وانقطعت أخباره، بعد أن لمعت أضواء شقاوته في عالم الإجرام، ويقال انه قتل أو هرب إلى إيران.

أما في الرصافة وفي محلة الصدرية فقد ظهر احد الأشقياء من الأكراد الفيليّة ويدعى (□زه) الفيلي الذي كان يتمتع بقوة البدن، حيث كان يحمل في أيام عاشوراء مشعلا يحوي مئة فانوس وفانوس، من محلة الصدرية إلى محلة التسابيل، ويقوم ببرم هذا المشعل مرات عدة، وكان يساعده اثنان من أقوياء اليدين عند إنزال المشعل إلى الأرض نظرا لطوله وثقله وخوفا عليه من السقوط على الأرض، وقد ذاق سكنة الصدرية وما يجاورها، من اعتداءات (□زه) الذي حاول أن يتشبه بالشقي الفيلي (ابن شاهية) الذي قتل في محلة السويدان في الرصافة حيث كان شرسا غليض القلب ، وقد قتل (□زه) ضربا بالقامات انتقاما منه ومن اعماله، وجدير بالذكر ان اغلب الاشقياء المشهورين هم من الأكراد الفيلية أمثال ابن عبدكه وجبار الكردي وأخوته وابن شاهية وجوامير الن□ة وغيرهم، والفيلية هم من سكنة جبل بشتكوه مقابل علي الغربي.

وعلى ذكر (عبدكه) الذي اشتهر بضواحي بغداد والمدن القريبة منها، فقد كان هذا مطلوبا بجرائم قتل في زمن العثمانيين وفر خارج العراق، وفي عهد الاحتلال البريطاني للعراق، ظهر مرة ثانية يمارس أعماله وجرائمه بين بغداد وديالى، وكان قد حكم عليه بالإعدام من قبل المحكمة الكبرى في بغداد، ولكن إقدامه على حماية النساء البريطانيات وإيصالهن سالمات إلى بغداد، بعد أن حوصر بعض البريطانيين وعوائلهم في ديالى أثناء ثورة العشرين، قد شفعت له لدى مستر (بريجالد) رئيس المحكمة الكبرى الذي أبدل حكم الإعدام إلى السجن المؤبد، وقد اشتغل بعد خروجه من السجن حارسا في الآثار القديمة خارج بغداد ثم داخل بغداد، وأحيل إلى التقاعد لكبر سنه وعجزه، وقد قتل في المقهى الذي كان جالسا فيه من قبل احد الشبان باطلاقات نارية، بحجة أن ابن (عبدكه) قد قتل ابن عم له .

ابن عبدكة هل كان شقيا قاتلا ... أم ثائرا ضد الانكليز؟

في قرية ذيابة بالقرب من شهربان في لواء ديالى وفي بيت من الطين ولد إبراهيم عبدكة الذي تعود أصوله إلى الكرد الفيلية ويعد من أشهر الشقاوات في العراق خلال فترة أواخر الحكم العثماني وتأسيس الدولة العراقية وحتى الآن، وقد اشتهر وذاع صيته وضربت به الأمثال بالشهامة والقوة والرجولة، بينما عده أعداؤه بالقاتل وقاطع الطريق، وطورد من قبل الحكومة العثمانية ورصدت جائزة لمن يقبض عليه (حيا أو ميتا). انتقل ابراهيم مع عائلته الى بغداد وسكن في منطقة باب الشيخ التي كان اغلب ساكنيها من الكرد الفيلية، ويرجع تحول إبراهيم إلى مجرم وقاتل وطريد للعدالة هو مقتل أخيه (عبد) على يد نجم زهو العزاوي ومجموعة من شباب (العزة) واقسم حينها ابن عبدكة على الثأر لأخيه ورفض دفن جثته قبل أن يقتص من قاتليه، وخرج يرافقه كل من محمد العباسي وحسين الشمام حاملا بندقية أخيه القتيل وقام بقتل نجم زهو العزاوي وعدد آخر من شباب العزة، وبعدها هرب إلى بساتين بعقوبة ليصبح مجرما وقاتلا مطلوبا للحكومة تطارده القوات ويشتبك معها فيقتل منهم عددا كبيرا ، وقد ذاع صيته في جميع أنحاء العراق والتف حوله عدد غفير من الأعوان ، ولم تستطع الحكومة إلقاء القبض عليه ، فظل حرا طليقا يتنقل في بساتين بعقوبة ، وقد تحولت فجأة حياة هذا الشقي عندما التحق بالثوار للجهاد ضد الانكليز تلبية لنداء رجالات ثورة العشرين ، واتخذ من (خرناباد) في ديالى مقرا لمهاجمة القوات الانكليزية ، ولكن في يوم ٢٥أيلول ١٩٢٠ دك الانكليز مقر ابن عبدكة بالقنابل (بعد سيطرتهم على بعقوبة وشهربان) واعتقلت العديد من إتباعه واحتلوا خرناباد بعد أن تصدى لهم ابن عبدكة وأتباعه وأهالي المنطقة تصدي الأبطال، ولما اشتد الحصار هرب والتجأ إلى احد أصدقائه ، ولكن السلطات ألقت القبض عليه ونقل إلى بغداد لمحاكمته والحكم عليه بالإعدام شنقا يوم ٢٣تموز ١٩٢١ من قبل المحكمة التي رأسها القاضي الانكليزي (وايد مان))وعضوية كل من عبد المجيد الياسين ويوسف السويدي ، وميز محاميه معروف علي اصغر) الحكم ، ولكن محكمة التمييز أيدت الحكم الصادر ضده مما اضطره الى ان يلتمس من الملك فيصل الاول الرحمة والرأفة ، وبجهود هذا المحامي ، وًالحملة الصحافية ، والشارع العراقي ، وتدخل بعض رجالات ثورة العشرين (السيدان محمد الصدر ومحمد الخالصي) ورفض عضوي محكمة التمييز رشيد عالي الكيلاني وسليمان فيضي تصديق قرار الحكم وتدوين معارضتهم على نص القرار ، امتنع الملك من تصديقه وامر بتخفيف العقوبة بالرغم من توصيات المندوب السامي البريطاني بتنفيذه ، وهكذا سلمت رقبة ابن عبدكة من حبل المشنقة. يقول عنه سليمان فيضي في مذكراته ابن عبدكة ثائر شعبي من عامة الكرد، اشتهر بالشجاعة والاقدام وكانت له اثناء ثورة العشرين مواقف مشرفة ضد الانكليز في لواء ديالى ولما نشبت الثورة العراقية واخلى الانكليز بعقوبة ، دخلها ابن عبدكة ونصب نفسه مديرا عليها وبطش بالجواسيس وقتل بعضهم ، مما اثار حقد الانكليز عليه..

كان ابن عبدكة محبوبا ومحترما لدى غالبية عشائر ديالى ، لما يتمتع به من خلق فاضل وانسانيته ، وبوجوده نعمت المنطقة بالأمن والاستقرار فترة طويلة ، وقد قال عنه علي الوردي(ان ابراهيم عبدكة كان بطلا شعبيا ذا مروءة لايعتدي على الضعفاء والفقراء والنساء وكان ذلك من الاسباب التي دفعت الناس إلى الإعجاب به ومساعدته للتملص من مطاردة الحكومة له .) وفي عام ١٩٣٦ اطلق سراحه من السجن وعمل كمراقب في دائرة الآثار في لواء الحلة وتزوج من إحدى قريباته في سدة الهندية ، وقد اصيب بالشلل النصفي اخيرا ، وفي يوم ايلول ١٩٥٤ واثناء جلوسه في المقهى تقدم عليه شاب يدعى (سهيل) واطلق عيه النار ليرديه قتيلا انتقاما منه لمقتل والده (نجم زهو العزاوي)، وهكذا انطوت هذه الصفحة من حياة اشهر شقاوات العراق في ذلك الزمان ليدفن في مدينة النجف الاشرف وسط تشييع كبير من اقربائه واصدقائه ومحبيه.

(ابن عبدكة) و(كزكة) و(موسى أبو طبرة) و(جواد الأجلك) وغيرهم... من ابرز شقاوات بغداد

3 محاولات سبقت قيام ثورة 14 تموز

فاخر الداغري

ذكر محمد حسين الزبيدي اثنتي عشرة محاولة لتفجير الثورة بين 1954 و1958 وذكر ليث عبد الحسن الزبيدي سبع محاولات (1956-1958) غير انه لا يمكن اعتبار إظهار التذمر من العهد الملكي او انتقاده او التفكير بإسقاطه او التمني بزواله او الحديث عن التخلص من نوري السعيد وعبد الإله والملك فيصل الثاني محاولات لتفجير الثورة، بعد استعراض لما ذكره الزبيديان وما ذكره محسن حسين الحبيب في كتابه (ص67-70) وما ذكره آخرون، وما كان قد تقرر من انه لا يمكن القيام بعمل ما من هذا القبيل إلا توفر حضور الثلاثة المذكورين نوري السعيد وعبد الإله والملك فيصل الثاني في محل واحد وفي آن واحد، توصلت إلى ما يمكن اعتباره محاولات حقيقية تستحق اسم محاولة للإطاحة بالنظام الملكي ينحسر في المحاولات التالية:

١-المحاولة الأولى: ٦ كانون الثاني ١٩٥٨.
درست اللجنة العليا محاولة القيام بثورة في يوم الجيش ٦ كانون الثاني ١٩٥٨ أثناء الاحتفالات التي تجري في معسكر الرشيد إذ كان الضباط الأحرار يسيطرون على الوحدات التي اشتركت في الاستعراض العسكري الذي أقيم في يوم الجيش ٦ كانون الثاني ١٩٥٨ وهي:
- الكلية العسكرية: كانت تقدر قوتها بفوج واحد يعتبر أحسن أفواج الجيش كفاءة وتسليحا وكان الضباط الذين عهد إليهم بقيادة هذا الفوج هم عبد اللطيف الدراجي وعيسى الشاوي وإبراهيم جاسم التكريتي.
- كتيبة هندسة الفرقة الأولى: وافق أمرها إسماعيل مصطفى بمعاونة الضباط الأحرار لتنفيذ الثورة.
- معسكر الهندسة في معسكر الرشيد ويشتمل على مدرسة الهندسة وسرية هندسة الجيش وسرية هندسة القاعدة وكان يسيطر على هذه السرايا رفعت الحاج سري وإسماعيل فياض وجاسم العزاوي وغيرهم من الضباط الشباب الأحرار.
- مدرسة الصنائع الجوية: كانت قوتها تقدر بفوج مشاة وآمرها رجب عبد المجيد.
- كتيبة المدفعية الضخمة: أمرها محسن حسين الحبيب ومعه بعض الضباط الأحرار.
- كتيبة مدرعات فيصل: آمرها عبد الرحمن عارف، وتعتبر أقوى سلاح يعتمد عليه الضباط الأحرار في تلك الفترة.
- سرب المقاتلات النفاثة في الحبانية، آمرها عارف عبد الرزاق.
- فوج واحد من لواء المشاة التاسع عشر (اللواء بقيادة عبد الكريم قاسم).
- وحدات أخرى صغيرة كبعض فصائل الدبابات في معسكر الرشيد.

واقترح عبد الكريم قاسم خطة وهي أن يقود عدة دبابات عند مرورها امام منصة التحية التي يقف عليها الملك وعبد الإله ونوري السعيد بفتح نيرانها عليهم ثم يقود الضباط الأحرار باعتقال المسؤولين والسيطرة على الوحدات العسكرية الأخرى والزحف على بغداد وإعلان الثورة.
رفضت اللجنة العليا هذه الخطة خوفا من وقوع ضحايا بريئة كما أنه ليس من المؤكد إصابة الأشخاص المطلوبين بنيران الدبابات.
وقدم ناجي طالب رئيس اللجنة العسكرية في اللجنة العليا خطة أخرى وهي أن تقوم كتيبة مدرعات فيصل التي يقودها عبد الرحمن عارف، خلال حركتها من معسكر الوشاش الى معسكر الرشيد ليلا لغرض المشاركة بالاستعراض باحتلال الأهداف المهمة في بغداد كقصر الرحاب والإذاعة ودار نوري السعيد والجسور واعتقال الثلاثة الكبار وتقوم القطعات الأخرى الموجودة في معسكر الرشيد بتنفيذ باقي أجزاء الخطة اي الزحف على بغداد واحتلال جانب الرصافة.
عارض عبد الرحمن عارف هذه الخطة تارة بحجة عدم وجود العتاد الكافي وطورا بحجة خوفه من عدم موالاة سلمان مجيد الحصان للثورة وعدم اطاعة الاوامر التي يصدرها اليه، فتعهد رجب باقناع سلمان الحصان وذهب وفاتحه بالموضوع فقال سلمان انه على الرغم من كونه شيوعيا وان الحركة قومية فانه مستعد لتنفيذ ما يطلبه منه عبد الرحمن عارف ولكن عبد الرحمن رفض تنفيذ الخطة.

٢- المحاولة الثانية: ١١ مايس ١٩٥٨:
ألف الضباط المندفعون قيادة جديدة لتنفيذ الثورة من عبد الوهاب الشواف ورفعت الحاج سري ووصفي طاهر ونعمان ماهر الكنعاني وحسن مصطفى النقيب وعبد الغني الراوي وخليل العلي وخزعل السعدي وطه ياسين الدوري وكامل الشماع واغتنمت هذه القيادة فرصة مرور اللواء الخامس عشر الذي امره احمد محمد يحيى ببغداد في طريقه إلى البصرة بعد مشاركته في التمارين العسكرية في منطقة الحدود الغربية بين الحبانية والرطبة (٥-١١ مايس ١٩٥٨) وحصل في آخر يوم من أيام التمرين عند تنفيذ عملية الرمي الحقيقي الذي اشتركت فيه المشاة والمدفعية، إن سقطت عدة قنابل من مدافع الميدان قرب التل الذي كان يقف عليه المشاهدون وعلى رأسهم الملك فيصل الثاني وعبد الإله ورئيس أركان الجيش وكثير من قادة الجيش والملحقين العسكريين الأجانب، جرى تحقيق ولم تكشف نتيجته.
تحدد موعد المحاولة الثانية في ليلة ١١-١٢ مايس سمع أعضاء اللجنة بخبر المحاولة عارض المحاولة ناجي طالب ومحسن حسين الحبيب ورجب عبد المجيد ومحيي الدين عبد الحميد باعتبارها حركة انتحارية لعدم كفاية القطعات المكلفة بالحركة، وحاولوا إقناع المشاركين بعدم التنفيذ لان فشل الحركة سيكون كارثة، ولكن إذا أصروا فلابد من تأييدها ومساندتها، التحق وصفي طاهر ومحمد سبع بمواقع القطعات الموالية في معسكر أبو غريب شارك في المحاولة عدد كبير جدا من الضباط الاحرار واعدت بيانات عن الثورة لإذاعتها بعد السيطرة على الإذاعة على أن تذيع الملك فيصل الثاني، ويتم قتل نوري السعيد ويسفر عبد الإله إلى خارج العراق، ثم يسفر الملك إلى خارج العراق وتعلن الجمهورية يؤلف مجلس قيادة الثورة من أعضاء الهيئة الجديدة بالإضافة إلى قادة الفرق ورئيس أركان الجيش الجديد رشح لهذا المنصب عبد الكريم قاسم، ويكون عبد الوهاب الشواف رئيسا لمجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء ويضم مجلس الوزراء نجيب الربيعي وكامل الجادرجي وحسين جميل ومحمد مهدي كبة وفائق السامرائي وفؤاد الركابي وعبد الجار الجومود.
حدث أن اللواء الخامس عشر لم يعسكر في بغداد وإنما انتشر بين الفلوجة والرمادي ثم انتقل بالقطار إلى البصرة زار عبد الوهاب الشواف معسكر أبي غريب في منتصف الليل ثم ذهب إلى معسكر اللواء الخامس عشر فوجده غير مستعد لان معظم ضباطه كانوا قد تركوا المعسكر وذهبوا إلى بغداد ولم يبق فيه سوى عبد الغني الراوي وضباط الخفر وقال عبد الغني الراوي انه لم يكن متأكداً بان الحركة ستنفذ في تلك الليلة ولذلك لم ينذر الضباط هذا ولم يتمكن من الالتحاق بالحركة في الوقت المطلوب حسن عبود الذي عهد إليه بقيادة احد الأفواج حسب الخطة لذلك قرر عبد الوهاب الشواف تأجيل الحركة.
بعد فشل الحركة أجتمع فيد او رجب بعض أعضاء اللجنة العليا وهم ناجي طالب وعبد الوهاب أمين ومحسن حسين الحبيب ومحيي الدين عبد المجيد ومعهم خليل سعيد لاستعراض الوضع العام ذكر خليل سعيد للمجتمعين وتأييده ناظم الطبقجلي وعبد العزيز العقلي لحركة الضباط الأحرار.
بعد انتهاء المحاولة قررت اللجنة العليا

محاسبة محمد سبع ووصفي طاهر فاعترف محمد سبع بخطئه وطلب مسامحته عما بدر منه ورفض وصفي طاهر الاعتراف بالخطأ فقررت اللجنة العليا تجميده ولأجل ضبط عبد الوهاب الشواف والسيطرة عليه وعدم تكرار المحاولة قررت اللجنة العليا ضمه إلى صفوفها.

اخبرني عبد اللطيف الدراجي انه بينما كان العدد الكبير من الضباط ينتظرون تنفيذ المحاولة الثانية جاءتهم كلمة من عبد الكريم قاسم بواسطة وصفي طاهر أن حركتهم علة وشك الافتضاح وانه يوصي بعدم التنفيذ ولعله كان يريد إفشالها لأنها لم تكن تحت زعامته.

٣- المحاولة الثالثة: ٢٩ مايس ١٩٥٨:

بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على تأسيس كلية الأركان تقرر إقامة حفلة يحضرها الملك وعبد الإله ونوري السعيد والوزراء وكبار الضباط فكر البعض بأنها قد تكون مناسبة لتفجير الثورة.

ولكن لعدم توفر القطعات الكافية واحتمال حضور عدد كبير من المدعوين العراقيين والأجانب وإعطاء تضحيات كثير لا مبرر لها لم توافق اللجنة على اغتنام الفرصة وصرفت النظر عن الفكرة ولكن عبد الغني الراوي وضع خطة بهذه المناسبة لقتل عبد الإله ونوري السعيد واعتقال الملك فيصل ينفذها بعض الضباط الأحرار، تقوم القطعات الأخرى باحتلال المراكز المهمة وإعلان الثورة، احضر عبد الغني معه من البصرة إلى بغداد عشر غدارات من مستودعات الجيش في البصرة، عرض عبد الغني هذه الخطة على عبد السلام عارف وهذا بدوره استشار عبد الكريم قاسم فاتفقا على عدم إمكان تنفيذ الخطة المذكورة وربما أرادوا صرف النظر عنها لكي ينفردا بتنفيذ الثورة كما فعلا بعد ذلك في المواقع، نشر عبد الغني الراوي قصة محاولته تلك في جريدة المنار في أربع مقالات بتاريخ ٢٥-٢٩ أيار ١٩٦٦.

أخطار انكشاف سر تنظيم الضباط الأحرار تعرض تنظيم الضباط الأحرار إلى أخطار انكشاف سره أمام النظام الملكي قبل الكثير عنها وبعضها لا يمكن وصفه بهذه الصفة، ذكر ليث عبد الحسين الزبيدي اكثر من ست محاولات في هذا المضمار وذكر جعفر عباس حميدي ما قيل من روايات حول الموضوع.

اذكر فيما يلي الحوادث الثلاثة التي أرى أنها تستحق الاهتمام:

١- حادث مشتل الكاظمية: وقد تطرقت إليها سابقا.

٢- حادث علي حيدر الركابي:

عمل علي حيدر الركابي وهو سوري الجنسية وصديق عبد الإله مدرسا في العراق ثم عمل في سباق الخيل في أوائل نيسان ١٩٥٧ دعا علي حيدر صديقيه الضابطين نعمان ماهر الكنعاني وشكيب الفضلي إلى داره، في خلال الحديث انتقد نعمان الأوضاع العامة في العراق وهاجم الاستعمار البريطاني وأذنابه، نقل علي حيدر الحديث نعمان إلى الأمير عبد الإله فطلب الأمير من علي دعوة نعمان ثانية الى داره وإحضار جهاز تسجيل لضبط ما يقوله ففعل، ولكن نعمان لم يقل في حديثه الثاني شيئا مهما ثم ألقى القبض على نعمان ليلة ١٣ نيسان وحقق معه في وزارة الدفاع فلم يعترف بشيء وفي صباح اليوم التالي ألقى القبض على شكيب الفضلي وحقق معه في وزارة الدفاع ولم يحصل التحقيق على شيء مهم إذ نسق إفادتيهما صالح مهدي عماش من الضباط الأحرار وكان ضابطا في الاستخبارات العسكرية ثم أحيل نعمان الى التقاعد ونقل شكيب الفضلي الى ضابط تجنيد في منطقة نائية في محافظة السليمانية.

٣- حادث تحذير الملك حسين:

علم الملك حسين من مخابراته معلومات عن نشاط الضباط الأحرار في العراق وفي كتابه عن سيرة حياته قال أتحدث الان عن القصة المزنة عن كيفية علمنا في الاردن، عن الانقلاب الذي اعد في العراق ولكننا لم نستطع اقناع العراقيين الذين لم يبالوا بتحذيراتنا لقد انذرت انا شخصيا بحدوث الانقلاب لبعض الوقت قبل ان يقتل ابن عمي الملك فيصل الثاني جاءنا اول تلميح حين اعتقل ناصري أردني طالب في الكلية العسكرية احمد يوسف الحياري من كتيبة الدبابات الرابعة كان أحمد مكلفا بقتلي وقتل خالي الشريف ناصر ورسميين آخرين وذلك بإلقاء القنابل في احد الاحتفالات العامة ولما اعتقل اعتر ف اعترافا كاملا وفيه قال إن انقلابا حرضت عليه الجمهورية العربية المتحدة سيقع في العراق في منتصف تموز في الوقت الذي يحدث فيه انقلاب في العراق في منتصف تموز في الوقت الذي يحدث فيه انقلاب مماثل في الأردن، وقبل مضي وقت طويل انكشفت معلومات أخرى وقد اطلعت على تفاصيل كثيرة وعلى أسماء بعض قادة الانقلاب وقد تم توقيف الحوادث في بغداد مع مؤامرة تحدث في عمان في الوقت نفسه.

كان أول عمل قمت به هو أن انذر ابن عمي فيصل فاتصلت به شخصيا تلفونيا وأخبرته قائلا: عندي معلومات مهمة جدا عن انقلاب يدير في العراق، وارجوا أن تكون حذرا جدا فسألني ماذا تقترح فأجبته ان ترسل شخصا مهما لمقابلتي وساشرح له كل شيء وارجو ان تصدقني ان هذا فعلا امر مهم ومستعجل للغاية.

شكرني الملك فيصل وأمر بإرسال الفريق محمد رفيق عارف رئيس أركان جيش الاتحاد العربي بالطائرة إلى عمان، فلم يكن هناك وقت نهدره إذا أردنا كشف المتآمرين ولذلك عقدت مؤتمرا حال وصوله في أحد مكاتب الديوان الملكي استدعيت إلى المكتب رئيس الديوان ورئيس الوزراء والفريق عارف وكان حاضرا أيضا رئيس أركان الجيش الأردني ثم قرأ احد الضباط المخابرات التفاصيل التي جمعاها وقد بدا على الفريق عارف الملل وعندما انتهت قراءة الدلائل ضحك عارف وقال يا صاحب الجلالة نشكرك كثيرا على اهتمامك واقدر قلقك ولكنني أؤكد لك أن الجيش العراقي قائم على تقاليد ويعتبر أفضل جيش في الشرق الأوسط وليس لديه مشاكل أو تبديلات كتلك التي لدى جيشكم خلال السنوات القليلة الماضية وأضاف أن علينا بالأحرى أن نقلق على الأردن فان هذا الانقلاب ينطبق على بلدكم ولذلك أرجوكم أن تأخذوا الحذر.

ولكنني صرخت به قائلا: يجب أن ندرك يافريق ان الامر خطير أيضا بالنسبة للعراق ثم ناشدته قائلا عدني يافريق بأنك ستنقل كل الحقائق إلى جلالة الملك فيصل والرسميين بالخطر فأجاب إنني أعدك ياصاحب الجلالة بأنني ساخبر الملك والحكومة عن كل شيء وهكذا غادرنا الفريق عارف وكان ذلك يوم الجمعة السابق ليوم الاثنين ١٤ تموز ١٩٥٨.

وقد تحقق لدينا بعد ذلك ان تحذيري لم يكن الوحيد فان الأتراك أيضا كانوا قد حذروا العراقيين عن الانقلاب.

وخلال عطلة نهاية الأسبوع تكلمت مع ابن عمي فيصل وكان ذلك اليوم السابق لليوم المقرر فيه مغادرته العراق لزيارة تركيا إي يوم ١٣ تموز وكان من المقرر أن أقوم مقامه في رئاسة الاتحاد العربي في غيابه ووعدته بأنني سأقوم بكل شيء لخدمة الاتحاد العربي وقد قررت أن اذهب إلى العراق شخصيا لأحاول الاطلاع على الأمور بنفسي ولكني لم أذهب قط.

من هم مرشحو الجبهة الوطنية للانتخابات النيابية؟

عبد الكناني

طه الهاشمي

مزاحم الباجه جي

كامل الجادرجي

محمد رضا الشبيبي

في بداية الخمسينيات وفي أوج المد الوطني المناهض للأحلاف وَالتكتلات المحورية التي أخذت تنتشر في أنحاء من العالم ولاسيما في قارتي آسيا وإفريقيا ومنها حلف بغداد الذي كان يعد من أهم الأحلاف أو التحالفات الدولية في المنطقة والذي هو في الحقيقة حاجز أو ستار أو عائق أمام الحركات اليسارية والتوجهات اليسارية لرجال العراق ومعوق كبير بوجه التغلغل الشيوعي في المنطقة، حاول العديد من رجال العراق (مدنيين وعسكريين) وشخصياته السياسية والاجتماعية حتى الثقافية تأسيس كتل أو جبهات معارضة لتوجهات الدولة والى السياسات التي تقف بالضد من التطلعات الوطنية بعضها لأجل الانتخابات وأخرى لأجل بناء مواقف سياسية وطنية لخلق تيار معارض ورأي عام عراقي لإفشال أية نيات لرهن البلاد بأحلاف وتكتلات دولية الغاية منها تمرير المخططات الاستعمارية والترويج للأفكار العنصرية ومحاربة المشاعر الوطنية التي كانت تتزايد في الأوساط الشعبية العراقية بفعل قوة التدخل الأجنبي التي تتحكم بمصير البلاد وسياساته علاوة على استعدادها لقمع وانتشال المحاولات والأعمال التي تندرج في خانة مقاومة ومقارعة اليد الأجنبية العابثة بالبلاد والتي تعمل بالخفاء بمواجهة الدعاوى التي تواجه مثل تلك المخططات التآمرية وحاولت مجاميع وطنية عدة تأسيس جبهات انتخابية أو كتل سياسية تجمع بعض التيارات والأحزاب السياسية وتنسيق مواقفهم وحركتهم فضلا عن العناصر المستقلة.

ومن تلك المجاميع الوطنية التي حاولت أو انضمت إلى جبهة لتنسيق مواقفها وبلورة توجهاتها لخوض الانتخابات النيابية، مجموعة الشخصيات الوطنية ذات التاريخ المعروف في البلاد (عسكريين ومدنيين) حيث اتفقوا على تأسيس جبهة سياسية باسم الجبهة الشعبية ضمت عددا مهما من الشخصيات العراقية من أبرزهم (طه الهاشمي ومزاحم الباجه جي ومحمد رضا الشبيبي ونصرت الفارسي وصادق البصام وكامل الجادرجي وجعفر حمندي وعبد المهدي ظاهر وبرهان الدين باشا أعيان وعارف قفطان وصالح سشكارة وعبد الرزاق الظاهر وخدوري وحسن عبد الرحمن وجميل صادق وجعفر البدر وخطاب الخضيري ومحمود الدرة ونجيب الصايغ وعبد الرزاق الحمود وعبد الجبار الجومرد وعبد الرحمن الجليلي وعبد الرزاق الشيخلي) وغيرهم.

غير أن وزارة الداخلية اعترضت على طلب التأسيس الذي تقدمت به هذه الجبهة في ١٩ نيسان ١٩٥١ وذلك لان الجبهة مؤلفة من أحزاب وحركات وأفراد وهيئات وليس من عدة أشخاص كما يذكر محمود الدرة عضو الهيئة المؤسسة للجبهة الشعبية في كتابه (من تاريخ الحركة الوطنية العراقية) والذي يذكر في المقابل أيضا أن الجبهة الوطنية المتحدة التي تشكلت سنة ١٩٥٤ وهي جبهة انتخابية ضمت حزب الاستقلال والحزب الوطني الديمقراطي والشيوعيين من العمال والطلاب والمحامين الى جانب المستقلين، خاضت الانتخابات بسبعة وثلاثين مرشحا فاز منهم (١١) مرشحا وهم كامل الجادرجي وحسين جميل ومحمد مهدي كبة وفائق السامرائي ومجيد خدوري وعبد الجبار الجومرد وذو النون ايوب ومحمد حديد ومحمد صديق شنشل والمفكر الكردي مسعود محمد وجعفر البدر، وقد اجيزت على الرغم من أنها وضعت ميثاقا للجبهة من ثماني نقاط، من أهمها رفض المساعدات العسكرية الاميركية التي يراد بها تقييد سيادة العراق وربطه بالتحالفات العسكرية والاستعمارية.

إن التناقضات والأخطاء التي كانت تقع فيها الجبهات الرسمية عديدة وكثيرة وتعكس تحكم حكومي وسياسي في العملية الانتخابية والمشروع الديمقراطي حيث كان بامكانها عرقلة اي مشروع وطني ديمقراطي حقيقي بأعذار وحجج عديدة وهي بذلك تؤكد أن العملية السياسية والمشروع الديمقراطي مرتبط بالظروف والأوضاع داخليا وخارجيا فضلا عن الأصابع السرية الأجنبية التي تعمل في الخفاء لترتيب اوضاع تتفق وتتلاءم مع الاوضاع الدولية والوضع في المنطقة العربية والشرق الاوسط. وهو نهج كان سائدا في العديد من البلدان العربية، اذ ان السراي كان المطبخ الأول لتوجهات البلاد وقد شاهدنا وعرفنا بعض من تلك الطبخات التي جرت في سرايا بعض البلدان التي ظلت مرتبطة بالجهات الأجنبية لاسيما التي كانت مستعمرة لتلك البلدان وهي لم تكن تناقضات بل أساليب متبعة على وفق الحالة السياسية السائدة وهو ما كان يجري في العراق كذلك إذ أن التحكم الأجنبي كان واضحا ومن دلائله وإشاراته تلك التدخلات في القوائم الانتخابية والكتل والتيارات والجبهات.. وما حدث مع الجبهة الشعبية ما هو إلا انعكاس وتجسيد فعلي لذلك الدور وتلك السطوة للجهات الأجنبية والخارجية..

وهي حالة من حالات كثيرة سجلت في تاريخ العراق المعاصر وبالذات تلك الحقب التي كان للمستعمر فيها الدور الخطير والعامل الحاسم.. ولكنها مع ذلك أكدت على أن رجال العراق الغيارى كانوا أصحاب مواقف وطنية جلية وحاضرة وشجاعة ولم يقبلوا الضيم والاستعباد ومارسوا المعارضة السياسية الحضارية وخلقوا حشدا شعبيا كبيرا حتى انتزعت الحقوق المشروعة كاملة.

حين صرخ نوري السعيد: معقولة عبد الوهاب على الريوك

كمال لطيف سالم

دأب نوري السعيد رئيس وزراء العراق الاسبق ، بصورة خاصة على فتح الراديوعلى الاذاعة العراقية حالما يستفيق صباحا لسماع نشرة الاخبار الاولى .

و بعد ان يطمئن ان كل شيء على ما يرام، يبدأ بتناول افطاره وهو يستمع الى اغاني الصباح. ، و كانت قراءة الاخبار محصورة بين حافظ الدروبي و موحان طاغي.

انتهى موحان من قراءة نشرة الاخبار الصباحية ثم مضى ليقدم مجموعة من الاغاني الصباحية، كانت الاغنية الاولى اسطوانة محمد عبد الوهاب الشهيرة " جبل التوباد حياك الحيا " كان على الطرف الآخر نوري السعيد يستمع مع الوف العراقيين الى برنامج الصباح و ما ان سمع المقطع الاول من تلك الاغنية حتى تملكه الغضب و ادار قرص الهاتف على دار الاذاعة العراقية و طلب مديرها محسن محمد علي الذي لم يكن موجودا، كان الوقت مبكرا والمدير ربما غارقا في نومه .

فاضطر نوري السعيد ان يسأل عن المذيع ، منو هذا اللي كان يذيع ؟ قالوا له انه موحان طاغي . قال اريد حضوره الان، قولوا له رئيس الوزراء يريد أن يكلمك. اسرع السيد موحان الى التلفون و التقط السماعة مضطربا. ما الذي فعله يا ترى ليجعل رئيس الوزراء يطلب مخاطبته في هذا الصباح الباكر، و لم يكن بعد قد تناول حتى استكان شاي يبلل به ريقه.

التقط السماعة و اجاب: " نعم سيدي." فجاء صوت الباشا يهدر من الطرف الآخر:

وين ذوقكم انتو كلكم يا اللي تشتغلون بالاذاعة ، الناس بعدهم على ريقهم و انتوتسمعوهم جبل التوباد؟ تريدون تبجوهم من الصباحيات؟ يعني ماكو اغنية بالدنيا فيها شوية فرحة و استبشار حتى تسمعوهم هالأغاني؟؟. يا ولدي موحان ، خلونا نسمع شي يفرحنا. اغاني عراقية مثل على شواطي دجلة مر ، وللناصرية للناصرية، تعطش واشربك ماي بجفوف ايديه، بستات عراقية تونس الناس.

لم يكن بيد السيد موحان طاغي غير ان يعتذر لرئيس الوزراء ، ثم يعد نوري السعيد ان يبلغ الآخرين بكلامه بحيث لا يتكرر ذلك في المستقبل.

مؤلف اغاني يعشق منيرة الهوزوز

منيرة الهوزوز و اسمها الحقيقي "منيرة عبد الرحمن" ولقبت بالهوزوز لكونها أول مطربة عراقية غنت الأغنية الشعبية -الهوزوز- و قد عرفت برقة و عذوبة صوتها. وكانَ التنافس الفني بين منيرة وسليمة مراد يجري سجالاً فعندما تظهر أغنية جديدة لمنيرة سرعان ما تجد رداً من سليمة باغنية جديدة وهكذا. حتى ظهرت أغنية منيرة الجديدة والتي كانت قد منحتها الشهرة العريضة لها وكانت بعنوان ياعيني الهوزوز بيعت منها أكثر من الف اسطوانة التي تحمل ماركة His Moster volce وباتت هذه الاسطوانة المفضلة في المقاهي والمنتديات والكثير من البيوتات، ودأبت الاذاعة العراقية على بثها في اليوم الواحد عدة مرات، وحتى السينمات اثناء الاستراحة وفي الاعياد والاعراس. صارت هذه الأغنية أغنية الموسم وكل المواسم، واضحت على كل شفة ولسان يرددها الأطفال بشغف من دون ان يفقهوا لها معنى! ورافقت الشهرة الهوزوزية دعايات تجارية مثل علك الهوزوز ، صابون الهوزوز وأرياح الهوزوز. وفي الحالة هذه أرادت الراحلة سليمة ان ترد على هذه الأغنية الصاعقة فغنت "الهجر مو عادة غريبة" وتلتها بأغنية "كلبك صخر جلمود" أكثر شهرة من الأولى واتبعتها بثالثة هي "هاجن جنوني" ولكن هيهات .. فلم تعد أية أغنية مهما بولغ بصياغة كلماتها والحانها وادائها إلى ان تصل للمستوى الهوزوزي!!.

وكان ان التقاها الشاعر عبد الكريم العلاف حيث اعجب بها كثيراً وراح يتحفها باشعاره ومنها أغنية كلما مرادي يزيد انتظر بختي ويا عيني شكد ندم وهل الربيع بوجهك ويا دهر وين العهد وفراك الحبيب ما يهون.

مما دفع سليمة مراد ان ترسل له رسالة تطلب منه ان يكتب لها عددا من الاغاني ، لكن هيام الشاعر بمحبوبته الهوزوز منعه من ان يقدم اي اغنية لسليمة مراد الا بعد ان تطلع عليها منيرة الهوزوز وترفض غناءها.

ذاكرة عراقية

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

التحرير : علي حسين
التصميم : نصير سليم
الاشراف اللغوي: مروان عادل

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون